منهج السلف في الإيمان بصفة "الخلق" من خلال القرآن الكريم

د. أحمد بن صالح الزهراني

جامعة الملك عبد العزيز بجدة

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم الشريعة والدراسات الإسلامية

مستخلص. يتناول البحث صفة الخلق لله تعالى ومنهج السلف الصالح في إثباتها والإيمان بموجبها، وذلك من خلال النص القرآني، وقد قدمت بفصل ذكرت فيه في مبحث أول: بيان منهج السلف الصالح في أسماء الله تعالى الحسنی وصفاته العليا ، ثم ذكرت في مبحث تالي: معاني لفظ "الخلق" في اللغة وفي القرآن ، وفي الفصل الثاني ذكرت منهج السلف في صفة الخلق في ثلاثة مباحث، فذكرت في المبحث الأول: أنهم يثبتون ما تضمنه الاسم من صفة الخلق، وفي المبحث الثاني ذكرت إثباتهم دوام اتصافه تعالى بالخلق أزلاً وأبداً، وبينت في الثالث: إيمانهم بعموم خلقه تعالى لكل شيء، وختمت البحث بذكر خاتمة جامعة له، وفهرسا للمصادر والآيات والمواضيع.

المقدمة

فإن أسماء الله وصفاته من أعظم ما وقع فيه الخلاف بين السلف وبين مخالفيهم، وتعمق الخلاف بينهم بسبب تتطع المخالفين وغلوهم في التنزيه وتشعبهم في الجدل بين بعضهم البعض من جهة، وبينهم وبين السلف من جهة أخرى، حتى كثر كلامهم وقل نفعه وزاد ضرره، وآل الأمر بكثير منهم إلى الوقف أو الشك كما ذكر ذلك عنهم من نكر⁽¹⁾.

الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

(1) انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص208).

سائلاً ربي تبارك وتعالى أن يهبنا الإخلاص وأن ينفعنا بما نقول ونسمع، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل الأول:

تعريف بمنهج السلف وبمفردة الخلق.

وفي مبحثان:

الأول: منهج السلف في الإيمان بالصفات عموماً.
الثاني: مفردة الخلق في اللغة وفي نصوص القرآن والسنة.
المبحث الأول: مذهب السلف في أسماء الله وصفاته

على وجه العموم

من المعلوم أن أهل السنة يثبتون ما أثبتته الله لنفسه ورسوله ﷺ وينفون ما نفاه الله عن نفسه ورسوله ﷺ في الكتاب والسنة، ويقفون مع النصوص التي وردت فيها الأسماء والصفات موقف المؤمن المسلم الموقن الذي امتدحه الله تعالى بقوله: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: 2-3] وأجل الإيمان الغيب وأعظمه هو الإيمان بالله تعالى وبأسمائه وصفاته.

قال محمد بن الحسن⁽²⁾: «اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاءت بها النقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب عز وجل من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه»⁽³⁾.

ومن الصفات التي كثر الكلام فيها لتداخل مسائلها مع أبواب عديدة من العلم صفة (الخلق)، والمخالفون فيها كثير، بل لم يسلم لأحد من المتكلمين فيها مذهب إلا أهل السنة، لأنهم قصروا كلامهم على ما جاءت به النصوص، ولم يتعمقوا ولم يتطعموا، فكان مذهبهم العدل بين المذاهب، وقولهم الوسط بين الأقوال، وقد اخترت هذه الصفة - أعني صفة الخلق - لتكون محلّ بحثي هذا وقصرته على ما جاء في القرآن عنها، وقد رأيت تقسيم البحث إلى مقدمة وفصلين وخاتمة كما يلي:

أما المقدمة: فنكرت أهمية الموضوع وسبب اختياري له والدراسات السابقة.

الفصل الأول: تعريف بمنهج السلف وبمفردة الخلق.

وفي مبحثان:

الأول: منهج السلف في الإيمان بالصفات عموماً.
الثاني: مفردة الخلق في اللغة وفي نصوص القرآن والسنة.
الفصل الثاني: منهج السلف في الإيمان بخلق الله وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: إثبات الاسم وما تضمنته من صفة الخلق.

المبحث الثاني: دوام اتصافه تعالى بالخلق أزلاً وأبداً.

المبحث الثالث: عموم خلقه تعالى.

ثم ختمت البحث بخاتمة تكررت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

الدراسات السابقة: لم أجد بعد بحث من كتب في موضوع الخلق من خلال القرآن استقلالاً.

الفقه بعده بالعراق، صنف التصانيف وكان من أنكباء العالم ومن فصحاء العلماء، توفي سنة (189هـ)، سير أعلام النبلاء (134/9).
(3) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة رقم الأثر (740).

(2) الإمام الفقيه محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني مولا هم، تتلمذ على أبي حنيفة ثم لازم أبا يوسف القاضي من بعده حتى برع في الفقه وانتهت إليه رئاسة

تكييف ولا تمثيل ونعلم أن ما وصف الله به من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ولا أحاجي، بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه، لا سيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول وأفصح الخلق في بيان العلم وأفصح الخلق في البيان والتعريف والدلالة والإرشاد.

وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شيء لا في نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته ولا في أفعاله، فكما نتيقن أن الله سبحانه له ذات حقيقة وله أفعال حقيقة: فكذلك له صفات حقيقة وهو ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، وكل ما أوجب نقصا أو حدوثا فإن الله منزّه عنه حقيقة، فإنه سبحانه مستحق للكمال الذي لا غاية فوقه ويمتنع عليه الحدوث لامتناع العدم عليه واستلزام الحدوث سابقة العدم، ولافتقار المحدث إلى محدث، ولوجوب وجوده بنفسه سبحانه وتعالى.

ومذهب السلف بين التعطيل والتمثيل فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله فيعطلون أسماءه الحسنى وصفاته العليا، ويحرفوا الكلم عن مواضعه ويلحدوا في أسماء الله وآياته»⁽¹¹⁾.

وهم يستندون فيما ذهبوا إليه إلى حقيقة أن الله تعالى أعلم بنفسه وبصفاته من الخلق، ورسوله ﷺ أعلم الخلق بربه وهو أفصح الناس وهو أخشى الناس لله وأنصحهم لهم:

قال الإمام أحمد رحمه الله⁽⁴⁾: «ومن السنة اللازمة التي من ترك خصلة منها ولم يقلها ويؤمن بها لم يكن من أهلها: الإيمان بالقدر خيره وشره والتصديق بالأحاديث فيه والإيمان بها لا يقال لم؟ وكيف؟ إنما هو التصديق بها والإيمان بها، ومن لم يعرف تفسير الحديث وبلغه عقله فقد كفي ذلك وأحكم له فعله الإيمان به والتسليم له، مثل الصادق المصدوق وما كان مثله في القدر، ومثل أحاديث الرؤية كلها وإن نبت⁽⁵⁾ عن الأسماع واستوحش منها المستمع، فإنما عليه الإيمان بها وأن لا يرد منها جزءا واحدا»⁽⁶⁾.

وقال أبو نعيم الأصبهاني⁽⁷⁾: «طريقتنا طريقة المتبعين الكتاب والسنة، فما اعتقدوه أن الأحاديث التي ثبتت عن النبي ﷺ في العرش واستواء الله يثبتونها ويقولون بها من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه»⁽⁸⁾.

قال شيخ الإسلام⁽⁹⁾ رحمه الله: «ثم القول الشامل في جميع هذا الباب: أن يوصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله وبما وصفه به السابقون الأولون لا يتجاوز القرآن والحديث، قال الإمام أحمد رضي الله عنه: «لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث»⁽¹⁰⁾.

ومذهب السلف: أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير

(8) مجموع الفتاوى (60/5) ودرء تعارض العقل والنقل (252/6) ولم أجده في الحلية، وقد نقله شيخ الإسلام عن عقيدة مستقلة فيما يبدو أنها مفقودة.

(9) أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني النمشقي الإمام، شهرته تغني عن الإطناب في ذكره والإسهاب في أمره ترجم له بعض تلامذته ومن أشهرها العقود الدرية لتلميذه الحافظ ابن عبد الهادي رحمه الله، وانظر الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (387/2) وما بعد.

(10) انظر طبقات الحنابلة (144/1) و (212/2).

(11) مجموع الفتاوى (26/5).

(4) الإمام المشهور إمام أهل السنة أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني صاحب المسند وغيره الصابر في المحنة الذي نصر الله به السنة فأصبح علما عليها، توفي سنة (241هـ)، السير (177/11).

(5) أي بعثت.

(6) شرح أصول اعتقاد أهل السنة لللالكائي (157/1).

(7) أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الإمام الحافظ الثقة العلامة شيخ الإسلام رحمه الله الأصبهاني صاحب حلية الأولياء وغيرها، توفي سنة (430هـ)، السير (453/17).

المقدمات المنطقية والكلامية بل ولا إلى أمر خارج عن اللغة التي عرفوها للإيمان بهذه النصوص، ولهذا أيضا لا تجد عن أحدهم استشكالا لكونه تعالى على صفة معينة ورد بها النص، وقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد »⁽¹⁴⁾ فلم يترددوا لحظة في الإيمان بهذا وبنوا على ذلك حسن ظنهم بربهم، ولم يستشكلوا على النبي ﷺ أنه يصف الرب بالضحك لأن قبولهم وعلمهم قائم على أساس الإيمان بالله.

وأهل السنة في هذا الباب لا يفرقون بين الصفات، فالبرهان العقلي الذي تسلم به العقول أن الأشياء المتماثلة والحقائق المتساوية تتساوى في أحكامها من حيث ما يجوز عليها ويمتنع، ولهذا يقولون إن القول في بعض الصفات كالقول في سائرهما، ولا يفرقون بين صفة وأخرى، بل كل ما جاء به النص أجروه على ظاهره ووكلو العلم بالكيفية لله تعالى⁽¹⁵⁾.

كذلك فإن من المسلم لدى العقلاء أن الفرع له حكم الأصل، والصفات بالنسبة للذات كالفرع بالنسبة للأصل، ولهذا أجمعوا على أن القول في الصفات كالقول في الذات، فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في

فلولم تكن تلك النصوص مفيدة لمعانيها الظاهرة هي ما أراد الله من العباد لبين لهم ذلك، وأخبرهم أن ظاهرها غير مراد مثلا، أو أنها تخيلات لا حقيقة لها، بل العكس تماما هو الذي كان منه عليه الصلاة والسلام، حتى إنه كان يشير أحيانا تحقيقا للمراد من الصفة كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال في هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: 58] «رأيت النبي ﷺ يضع إبهامه على أذنه وأصبعه الدعاء على عينه»⁽¹²⁾.

والله تعالى أنزل الكتاب بلغة العرب، وأرسل رسوله ﷺ من خاصة العرب ومن أفصحهم لسانا، وذكر لهم أنه أنزله قرآنا عربيا ليدبروا آياته:

وهذا يقتضي أن تكون معاني النصوص المرادة منها هي ظواهرها⁽¹³⁾، ولأن غير ذلك ينافي الغاية من جعل القرآن عربيا، وينافي الحث على التدبر لأن التدبر متضمن للفهم عن الله تعالى والبيان وهذا لا يكون إلا بالتزام لغة القرآن وهي لغة العرب، والعرب يفهمون الكلام على ظاهره وخلاف ذلك يكون تلبيسا والشرعية منزهة عن هذا.

والعلم بالله وبأسمائه وصفاته قائم على الإيمان بوجود الله تعالى وربوبيته وهو أمر فطري، ولهذا كان الأعراب في عهد النبي ﷺ يتلقون عنه القرآن والسنة ولم يحتاجوا إلى

المراد ظاهر من كلامه ولا يحتاج إلى القول بأن للجملة معنى غير ظاهرها مع أن العادة أن لفظ الأسد هو للحيوان المقترس، انظر مختصر الصواعق المرسل (ص 51) وما بعدها، وانظر للفائدة منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة (392/1) وما بعدها.

(14) أخرجه البخاري (ح 2826) ومسلم (ح 1890).

(15) مجموع الفتاوى (17/3 - 24) بتصرف واختصار.

(12) أخرجه أيضا أبو داود في السنة باب في الجهمية (ح 4728) وابن حبان كما في الإحسان (498/1 - 499) والحاكم في المستدرک (24/1) وقال: حديث صحيح ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(13) الظاهر عند السلف يراد به المعنى المباشر المتبادر إلى السامع من كلام المتكلم، أي هو المعنى العام الذي يفيد مجموعة عوامل منها اللفظ ومنها السياق وحال المتكلم، فإذا قال شخص رأيت أسدا يقاتل بسيفه، فالمعنى

وأما الألفاظ التي أحدثها أهل الكلام والفلسفة في الإخبار عن الله تعالى نفياً وإثباتاً فإن أئمة السلف لم يقرؤهم عليها مطلقاً ولم يردوها مطلقاً وإنما يستفصلون عن مراد المتكلم، فإن كان مراده حقاً موافقاً لما جاءت به الرسل والكتاب والسنة: من نفي أو إثبات قالوا به، وإن كان باطلاً مخالفاً لما جاء به الكتاب والسنة من نفي أو إثبات منعوا القول به⁽¹⁹⁾.

وبين السلف رحمهم الله تعالى أن نصوص الأسماء والصفات نصوص محكمة معلومة المعنى مغيبة الكيفية، وهذا معنى ما يروى عنهم: «الاستواء معلوم والكيف مجهول».

وهذا المبحث يذكره أئمة السلف رداً على من زعم من أهل البدع أن نصوص الأسماء والصفات من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله ويحتج بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: 7].

ويريدون بذلك الوصول إلى نتيجة مفادها أن هذه النصوص لا يعلم معناها إلا الله فتقرأ ولا تفهم.

وقد بين لهم أئمة السلف أن ظاهر النصوص لا يقتضي تشبيهاً، ولهذا كان منهج السلف الصالح في التلقي: الأخذ بظاهر النص، لأنه أولى ما يراد به الكلام ويقصد به سواء كان الأمر متعلقاً بالأمور العلمية أو العملية.

أفعاله، فإذا كان له ذات حقيقة لا تماثل الذوات، فالذات متصفة بصفات حقيقة لا تماثل سائر الصفات⁽¹⁶⁾.

ومن منهجهم كذلك أن الله تعالى لا يوصف بالنفي المحض لأن النفي ليس فيه مدح ولا كمال إلا إذا تضمن إثباتاً وإلا فمجرد النفي ليس فيه مدح ولا كمال، فالنفي المحض عدم محض، والعدم المحض ليس بشيء، وما ليس بشيء فهو كما قيل: ليس بشيء، فضلاً عن أن يكون مدحاً أو كمالاً.

ولأن النفي المحض يوصف به المعدوم والممتنع والمعدوم والممتنع لا يوصف بمدح ولا كمال، فلهذا كان عامة ما وصف الله به نفسه من النفي متضمناً لإثبات مدح كقوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة: 255]

ففي السنة والنوم: يتضمن كمال الحياة والقيام، فهو مبين لكمال أنه الحي القيوم وكذلك قوله: (يُنبئ) أي لا يكرهه ولا يتقله وذلك مستلزم لكمال قدرته وتمامها بخلاف المخلوق القادر إذا كان يقدر على الشيء بنوع كلفة ومشقة فإن هذا نقص في قدرته وعيب في قوته، وإذا تأملت ذلك: وجدت كل نفي لا يستلزم ثبوتاً هو مما لم يصف الله به نفسه⁽¹⁷⁾.

ومن مذهبهم أن الاتفاق في الأسماء لا يقتضي التساوي في المسميات⁽¹⁸⁾.

ومن طريقتهم أنهم لا يطلقون في النفي والإثبات إلا ما أطلقه الشرع:

(16) مجموع الفتاوى (25/3 - 27).

(17) مجموع الفتاوى (35/3).

(18) مجموع الفتاوى (203/5 - 208).

(19) مجموع الفتاوى (36/6).

وغيرهما: « الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عن الكيفية بدعة »⁽²³⁾.

المبحث الثاني: مفردة الخلق في اللغة وفي القرآن

تدور معاني مفردة "خلق" وما تصرف منها حول ثلاثة أوجه: التقدير، والابتداء، والملاسة.

أما التقدير فمنه قولهم: خلقت الأديم للسقاء، إذا قدرته، ومنه قول بعضهم:

ولأنت تقري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري⁽²⁴⁾

ومن ذلك الخلق، وهي السجية، لأن صاحبه قد قدر عليه، وفلان خالق بكذا، وأخلق به، أي: ما أخلقه، أي: هو ممن يقدر فيه ذلك، والخلق: النصيب، لأنه قد قدر لكل أحد نصيبه.

والخلق في كلام العرب: ابتداء الشيء على مثال لم يسبق إليه، وأصل الخلق التقدير فهو باعتبار تقدير ما منه وجودها وبالعبار للابحار على وفق التقدير خالق والخلق في كلام العرب ابتداء الشيء على مثال لم يسبق إليه وكل شيء خلقه الله فهو مُبتدئ على غير مثال سبق إليه قال أبو بكر بن الأنباري⁽²⁵⁾: الخلق في كلام العرب على ضربين، أحدهما: الإنشاء على مثال أبدعه، والآخر: التقدير⁽²⁶⁾.

ولم يكن أحد منهم يستجيز أن يفهم من النص خلاف ظاهره إلا بدليل راجح يبين مراد المتكلم بكلامه⁽²⁰⁾.

ومع ذلك فأهل السنة لا يشبهون الله بخلقه، ولا يمثلون صفاته بصفاتهم، وهذا هو المراد بلفظ التشبيه المنفي في النصوص عن الأئمة، كما جاء عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى أنه قال: « المشبهة تقول: بصر كبصري ويد كيدي وقدم كقدمي ومن قال ذلك فقد شبه الله بخلقه »⁽²¹⁾، وقال إسحاق بن راهويه: « إنما يكون التشبيه إذا قال: يد كيدي أو مثل يدي أو سمع كسمعي، فهذا تشبيه، وأما إذا قال كما قال الله: يد وسمع وبصر، فلا يقول: كيف، ولا يقول: مثل سمع ولا كسمع، فهذا لا يكون تشبيها عنده »⁽²²⁾.

وكما أنهم لا يشبهون الله بخلقه، فإنهم ينفون علمهم بالكيفية، بل ينفون علم أحد من الخلق بكيفية صفاته وحقائق ما أخبر الله به عن نفسه، لأن ذلك لا يمكن إلا من طريق المعاينة أو خبر المعصوم.

والمعلوم من الدين ضرورة أنه لا خبر يبين كيفية صفاته تعالى ولا ذاته المقدسة، بل ذلك مما اختص به سبحانه علما، ولم يطلع عليه لا ملك مقرب ولا نبي مرسل.

وقد جاء ذلك صريحا في كلام أئمة السلف، ليس فقط كونهم لا يعلمون كيفية صفات الله تعالى بل السؤال عنها وعن كيفيةها بدعة كما تقدم قول ربيعة الرأي ومالك بن أنس

ونسبه عامة من استشهد به من النحويين، كما في الكامل (69/2) وكتاب سيبويه (37/2).

(25) محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري: من أعلم أهل زمانه بالأدب واللغة، من كتبه (شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات) و (إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل) توفي سنة (328هـ)، الأعلام للزركلي (334/6).

(26) تهذيب اللغة (16/7).

(20) التدمرية (69-78) و مجموع الفتاوى (379/13).

(21) اجتماع الجيوش الإسلامية (ص 132).

(22) اجتماع الجيوش الإسلامية (ص 153-154)، و عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص 26-28).

(23) مجموع الفتاوى (167/3).

(24) البيت لزهير بن أبي سلمى المزني (520 - 609 م) أحد أشهر شعراء العرب وحكيم الشعراء في الجاهلية من قصيدة: (لَمَنْ الدِّيارُ بِقَعَّةِ الحجر)

﴿أَخْلَقُ﴾ [ص: 7]. والخلق يقال في معنى المخلوق، كما في قوله تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾ [لقمان: 11].

والخلق بالفتح والخلق بالضم في الأصل واحد، كالشرب والشرب، والصرم والصرم، لكن خص الخلق بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخص الخلق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4]. والخلق: ما اكتسبه الإنسان من الفضيلة بخلقه، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ [البقرة: 102] (28).

الفصل الثاني: منهج السلف في الإيمان بخلق الله

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: إثبات الاسم وما تضمنه من صفة الخلق.
المبحث الثاني: دوام اتصافه تعالى بالخلق أزلاً وأبداً.
المبحث الثالث: عموم خلقه تعالى.

تمهيد

وصف الله سبحانه نفسه بالخلق، كما قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: 21]، وقال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِمَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ [البقرة: 29] وقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام: 1] وغيرها كثير.

وصفة الخلق التي وصف بها نفسه تعالى تتضمن الإيجاد من عدم، والتخليق من شيء سابق، وتتضمن التقدير، أما الصنع من شيء سابق والتقدير فقد يشاركه في

وأما الملائكة فكما قيل: صخرة خلقاء، أي ملاء، ويقال اخلوق السحاب: استوى، ورسم مخلوق، إذا استوى بالأرض، والمخلوق: السهم المصلح، ومن هذا الباب أخلق الشيء وخلق، إذا بلي، وأخلفته أنا: أبليته، وذلك أنه إذا أخلق املاصً وزهباً زئيره (27).

والقرآن استخدم هذه المفردة في موارد، فجاء بمعنى الخلق والإيجاد من غير أصل ولا مثال سابق، كما في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام: 1]، أي: أبدعهما، بدلالة قوله: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: 117].

وجاء بمعنى إيجاد الشيء من شيء سابق، كما في قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: 1]، وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ [الأنعام: 2]، وقوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ (14) وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ [الرحمن: 14-15]، وقال على لسان عيسى: ﴿إِنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ [آل عمران: 49] وقال كذلك: ﴿وَإِذْ نَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي﴾ [المائدة: 110].

واستعمله كذلك في الكذب كما في قوله: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً﴾ [العنكبوت: 17]. وكل موضع استعمل الخلق في وصف الكلام فالمراد به الكذب، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: 137]، وقوله: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا

(28) انظر لما سبق: مفردات القرآن للراغب (1/320).

(27) مقاييس اللغة لابن فارس (2/173).

وكون العلم به بديهياً فطرياً، احتج الله به على من أشرك به في عبادته، فقال: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزمر: 38] في غير موضع من كتابه، فعلم أن كونه سبحانه خالقاً من أظهر شيء عند العقول،... وهو أصل كل حقيقة، فجميع الحقائق تنتهي إلى خلقه وإيجاده، فهو الذي خلق وهو الذي علم، كما قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: 1-5] فجميع الموجودات انتهت إلى خلقه وتعليمه»⁽³¹⁾

ورغم إطباق عامة أهل الإسلام على إثبات اسمه الخالق إلا أن للسلف منهجاً متميزاً عن غيرهم في ذلك متوافقاً مع النقل النص القرآني وأصول الاستدلال العقلي الصحيح، وهو ما سنبيّنه في المباحث الآتية⁽³²⁾.

الوصف به بعض الخلق، كما قال على لسان عيسى: ﴿أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ [آل عمران: 49]، وأما الإيجاد من عدم فلا يشاركه فيه أحد، وهو الذي عناه تعالى بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ﴾ [فاطر: 3]، قال ابن الجوزي⁽²⁹⁾: فإن قيل: كيف الجمع بين قوله: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: 14] وقوله: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ﴾ [فاطر: 3]؟

فالجواب: أن الخلق يكون بمعنى الإيجاد، ولا موجد سوى الله، ويكون بمعنى التقدير، كقول زهير: ولأنت تقري ما خلقت وبع... ض القوم يخلق ثم لا يفري فهذا المراد هاهنا، أن بني آدم قد يصوّرون ويقدرّون ويصنعون الشيء، فالله خير المصوِّرين والمقدِّرين، وقال الأخفش: الخالقون هاهنا هم الصانعون، فالله خير الخالقين»⁽³⁰⁾.

وسمى الله نفسه بالخالق، كما قال: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلَّاقُ الْبَارِي الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الحشر: 24]. وبالخلق كما قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [الحجر: 86].

وهو ما لا يختلف فيه المسلمون في الجملة، أعني اتصافه بالخلق وإثبات اسمه الخالق، قال ابن القيم رحمه الله: «ليس في المعلومات أظهر من كون الله خالقاً، ولهذا أقرت به جميع الأمم، مؤمنهم وكافرهم، ولظهور ذلك،

(29) عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي، أبو الفرج الواعظ المفسر، علامة عصره في التاريخ والحديث، كثير التصانيف، مولده ووفاته ببغداد، ونسبته إلى (مشرعة الجوز) من محالها، له نحو ثلاث مئة مصنف، منها المنتظم في التاريخ، وزاد المسير في التفسير، وغيرها، توفي سنة (597هـ)، الأعلام للزركلي (316/3).

(30) زاد المسير (5/463-564).

(31) مختصر الصواعق المرسلة (ص346).

(32) وسألنزم الاختصار وعدم الاسترسال في إبطال الأقوال المخالفة لآفته خارج عن مقصود البحث الرئيس.

أخذت اللفظتان هكذا خرجتا عن مسألة الكلام... ولما تقدم في الآية (خلق) و(بأمره) تأكد في آخره أن له الخلق والأمر المصدرين حسب تقدمهما⁽³⁵⁾.

وقال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: 57]، والخلق هنا المصدر، أي الفعل القائم به تعالى وهو صفته، قال الألوسي⁽³⁶⁾ رحمه الله: «وإضافة (خلق) إلى ما بعده من إضافة المصدر إلى مفعوله أي لخلق الله تعالى السماوات والأرض أعظم من خلقه سبحانه الناس لأن الناس بالنسبة إلى تلك الأجرام العظيمة كلا شيء، والمراد أن من قدر على خلق ذلك فهو سبحانه على خلق ما لا يعد شيئاً بالنسبة إليه بدأ وإعادة أقدر وأقدر»⁽³⁷⁾.

ومعنى ذلك أنه قادر على مقدرات تقوم به وهي أفعاله، ومقدرات لا تقوم به وهي مفعولاته، ومن لازمها أنه قد يوجد الشيء من عدم وقد يوجد من موجود⁽³⁸⁾، وهذا موضع إجماع من المسلمين ولا يخالف في ذلك إلا الفلاسفة وبعض المعتزلة، قال ابن مندة⁽³⁹⁾: «والخلق منه على ضروب: منه خلق بيده، ويخلق إذا شاء فقال: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بَدَى﴾ [ص: 75] ومنه ما خلق بمشيئته وكلامه ويخلق إذا شاء»⁽⁴⁰⁾.

المبحث الأول: إثبات الاسم وما تضمنته من صفة الخلق

قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الحشر: 24]، وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلْقُ الْعَلِيمُ﴾ [الحجر: 86]، قال العلامة الشنقيطي⁽³³⁾: «قوله: ﴿إِلَى بَارِكِكُمْ﴾ [البقرة: 54] أي: خالفكم ومبرزكم من العدم إلى الوجود. وقد ذكر (جل وعلا) الخالق البارئ من صفاته كما قال في أخريات الحشر: ﴿الْخَلِيقُ الْبَارِئُ﴾ و (الخالق) اسم فاعل الخلق، والخلق في اللغة: التقدير، و (البارئ) هو الذي يفرى ما خلق؛ فمعنى خلق: قدر، ومعنى برأ: أنفذ ما قدر، وأبرز من العدم إلى الوجود، والعرب تسمي التقدير خلقاً»⁽³⁴⁾.

قال تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ شَاءَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: 54]، قال ابن عطية: «ويحتمل أن تؤخذ لفظة الخلق على المصدر من خلق يخلق خلقاً، أي: له هذه الصفة، إذ هو الموجد للأشياء بعد العدم، ويؤخذ الأمر على أنه واحد الأمور إلا أنه يدل على الجنس فيكون بمنزلة قوله: ﴿وَالِلَّهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ [هود: 123] وبمنزلة قوله: ﴿وَالِلَّهِ يَرْجِعُ الْأُمُورُ﴾ [البقرة: 210]، فإذا

(33) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي: مفسر مدرس من علماء شنقيط (موريتانيا). ولد وتعلم بها. وحج (1367هـ) واستقر مدرسا في المدينة المنورة ثم الرياض وأخيرا في الجامعة الإسلامية بالمدينة (1381هـ) وتوفي بمكة سنة (1393هـ).

(34) العنبر النمير (92/1).

(35) المحرر الوجيز (409/2).

(36) محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، شهاب الدين، أبو الثناء: مفسر، محدث، أديب، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها سنة (1270هـ)، الأعلام للزركلي (176/7).

(37) روح المعاني (332/12)

(38) درء تعارض العقل والنقل (183/2).

(39) الامام الحافظ الجوال، محدث الإسلام، أبو عبد الله، محمد بن المحدث أبي يعقوب إسحاق بن الحافظ أبي عبد الله محمد بن يحيى بن مندة - واسم مندة إبراهيم - ابن الوليد، العبدي الاصبهاني الحافظ، صاحب التصانيف، ومنها الإيمان، والتوحيد، توفي سنة (395هـ)، السير (28/17).

(40) التوحيد (380/1).

وخالفت كذلك المعتزلة (46) إذ قالت إن أسماء الله أعلام محضة لا تدل على معنى ولا تتضمن صفة (47)، متعلقة بأن إثبات معانٍ قديمة قائمة بذات يلزم منه تعدد القدماء، ويلزم منه أن تحله الحوادث فيكون جسماً والله منزّه عن ذلك كله (48)، قال ابن القيم (49) رحمه الله: «وهذا شأن أسماء الرب تعالى وأسماء كتابه وأسماء نبيه هي أعلام دالة على معانٍ هي بها أوصاف، فلا تضاد فيها العلمية الوصف، بخلاف غيرها من أسماء المخلوقين فهو الله الخالق البارئ المصور القهار فهذه أسماء دالة على معانٍ هي صفاته... وكذلك أسماء الرب تعالى كلها أسماء مدح ولو كانت ألفاظاً مجردة لا معاني لها لم تدل على المدح وقد وصفها الله سبحانه بأنها حسنى كلها فقال: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف: 180] فهي لم تكن حسنى لمجرد اللفظ بل لدلالاتها على أوصاف الكمال... وفي السنن من حديث أبي بن كعب قراءة القرآن على سبعة أحرف ثم قال: «ليس منهنّ إلا شافٍ كافٍ إن قلت سمياً عليمياً عزيزاً حكيماً ما

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الله سبحانه قادر أن يخلق ما يخلقه بيديه، وقادر أن يخلق ما يخلقه بغير يديه، وقد وردت الآثار من العلم بأنه خلق بعض الأشياء بيديه وخلق بعض الأشياء بغير يديه» (41).

وقال كذلك: «إنه سبحانه الغني الصمد القادر، وقد خلق ما خلق من أمر السماوات والأرض والدنيا والآخرة بالأسباب التي خلقها، وجعل بعض المخلوقات سبباً لبعض... فإذا كان خلقه بعض المخلوقات ببعض لا يوجب حاجته إلى مخلوقاته ولا ينافي كونه صمداً غنياً عن غيره، فكيف يكون خلقه لآدم بيده وقبضه الأرض بيده موجباً لحاجته إلى غيره» (42).

وفي هذا الأصل خالف الفلاسفة وغلاة الجهمية (43) وأهل الباطن (44) الذين نفوا أسماء الله تعالى ومن أثبت منها شيئاً فعلى سبيل المجاز، ولم يثبتوا إلاّ وجوداً مطلقاً (45).

(41) بيان تلبيس الجهمية (220/3).

(42) بيان تلبيس الجهمية (234/3) يشير رحمه الله إلى شبهة من قال إنّ إثبات خلقه تعالى بصفة أو بتوسط سبب يقتضي الحاجة إلى غيره.

(43) الجهمية أتباع الجهم بن صفوان السمرقندي أبو محرر المبتدع الضّالّ، أخذ بدعته عن الجعد بن درهم، وقتله سلمة بن أحوز سنة (128هـ)، ومن أشهر بدعه قوله: إنّ الإيمان هو المعرفة فقط، وقوله بالجبر وقوله ببناء الجنة والنار ونفيه الأسماء والصفات، انظر السير (26/6) وانظر الفرق بين الفرق (ص199) والممل والنحل (ص77).

(44) سماوا بذلك لأنهم يدعون أن لظواهر القرآن والأحاديث بواطن تجري من الظواهر مجرى اللب من القشر وانها بصورتها توهم الجهال صوراً حلية وهي عند العقلاء رموز وإشارات إلى حقائق خفية، ومرادهم أن ينزعوا من العقائد موجب الظواهر ليقتدروا بالتحكم بدعوى الباطل على أبطال الشرائع، وأشهر فرقهم الإسماعيلية والنصيرية والدروز، انظر، تلبيس إبليس لابن الجوزي (ص123)، والفرق بين الفرق للبغدادي (265/1) وكتاب "الحركات الباطنية في العالم الإسلامي" للدكتور عبدالرحمن الخطيب، وللغزالي أبي حامد كتاب باسم فضائح الباطنية.

(45) مجموع الفتاوى (7/3).

(46) من كبريات الفرق الإسلامية الضّالّة، تقول بالأصول الخمسة، تنكر صفات الله، ومشيئته وعموم خلقه لأفعال العباد، نشأت في عهد التابعين على خلاف بين المؤرخين في سبب هذه التسمية، وأشهر ما قيل: إنّ سبب ذلك أنّ واصل بن عطاء المتوفى سنة (131هـ) وهو مؤسس هذه الفرقة اعتزل مجلس الحسن البصري في وقت الخلاف في مرتكب الكبيرة بين المبتدعة إذ قرّر أنّه في منزلة بين المنزلتين، وقد وافقه على بدعته هذه عمرو بن عبيد القدري الضّال المتوفى سنة (144هـ) وانتشر بعدهما مذهب الاعتزال، انظر الممل والنحل (ص38)، و المعتزلة وأصولهم الخمسة (ص13) وما بعد.

(47) مقالات الإسلاميين (146/1 و187)، وانظر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار (ص129) و(ص182) وما بعدها.

(48) أظن منهاج السنة (123/2 - 132)، و (157/1) وما بعدها.

(49) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين: من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء مولده ووفاته في دمشق، تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه، ألف تصانيف كثيرة من أشهرها (زاد المعاد)، توفي سنة (751هـ)، الأعلام للزركلي (56/6).

وأيضاً فإنه سبحانه يجعل أسمائه دليلاً على ما ينكره الجاحدون من صفات كماله كقوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: 14].

وقد اختلف النظار في هذه الأسماء هل هي متباينة نظراً إلى تباين معانيها وأن كل اسم يدل على غير ما يدل عليه الآخر، أم هي مترادفة لأنها تدل على ذات واحدة فملولها لا تعدد فيه؟ وهذا شأن المترادفات والنزاع لفظي في ذلك، والتحقيق أن يقال: هي مترادفة بالنظر إلى الذات، متباينة بالنظر إلى الصفات، وكل اسم منها يدل على الذات الموصوفة بتلك الصفة بالمطابقة، وعلى أحدهما وحده بالتضمن، وعلى الصفة الأخرى بالالتزام⁽⁵¹⁾.

ويثبت أهل السنة اسم الله (الخالق) على الحقيقة، لا المجاز كما قاله بعض المعتزلة، قال العلامة ابن الوزير⁽⁵²⁾: «ومن المعتزلة من جعل الخلق على الحقيقة للعباد فلا يطلق على الله تعالى إلا مجازاً، منهم أبو عبد الله البصري⁽⁵³⁾، ذهب إلى أن الخلق بمعنى الفكر، والفكر لا يجوز على الله تعالى، وهذا ما لا أصل له إلا أن يكون استخراج ذلك من قول اللغويين: إن الخلق بمعنى التقدير، وظن أن الفكر بمعنى التقدير، وغفل عن كون صفات الله تعالى لا تشبه صفات المخلوقين.

لم تختتم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب»⁽⁵⁰⁾ ولو كانت هذه الأسماء أعلاماً محضة لا معنى لها لم يكن فرق بين ختم الآية بهذا أو بهذا.

وأيضاً فإنه سبحانه يعلل أحكامه وأفعاله بأسمائه ولو لم يكن لها معنى لما كان التعليل صحيحاً كقوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً﴾ [نوح: 10] وقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن سَائِبِهِمْ ثَرْْبُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: 226-227].

وأيضاً فإنه سبحانه يستدل بأسمائه على توحيده ونفي الشرك عنه ولو كانت أسماء لا معنى لها لم تدل على ذلك كقول هارون لعبدة العجل: ﴿يَقُولُوا إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ﴾ [طه: 90].

وأيضاً فإن الله تعالى يعلق بأسمائه المعمولات من الظروف والجار والمجرور وغيرهما ولو كانت أعلاماً محضة لم يصح فيها ذلك كقوله: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: 16] ونظائره كثيرة.

(840هـ) انظر ترجمته مطولة في البدر الطالع للشوكاني (ص599) وما بعدها .

(53) أبو عبد الله الحسين بن علي البصري، الملقب بالجعل، الفقيه المتكلم صاحب التصانيف، قال الذهبي في "سير أعلام النبلاء" 16/ 224: من بحور العلم، لكنه معتزلي داعية، وكان من أئمة الحنفية، توفي سنة (369 هـ).

(50) أخرجه أحمد (ح 21150) وأبو داود (ح 1477) والنسائي (ح 940)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في الصحيحة (ح 2581).

(51) جلاء الأفهام (ص171).

(52) محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى الحسني القاسمي، من كبار الأئمة الحفاظ المجتهدين اليمانيين نصر السنة وقاوم التقليد في بيئة معتزلية زيدية، وامتنح بسبب ذلك وله مصنفات فاخرة من أشهرها العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، توفي سنة

كُلِّفَ بهذه اللفظة بعينها، وهي أن الخلق بمعنى التقدير أن ينقل مثل ذلك أو قريباً منه لانقطاع، وليس المجاز شيئاً يختص به الزمخشري، فعلامته معروفة: وهو ما لا يسبق الفهم إليه إلا بقرينة، وهذا يُقْتَضَى في عَصْدِ دعواه.

وأقلُّ أحوال هذه اللفظة أن يكون إطلاقها على الله حقيقةً عُرفيّةً أو شرعيّةً، وهما أقوى من الحقيقة اللغوية كما قال علماء الإسلام في لفظة الصلاة وسائر ألفاظ الشرع.

وعلى كلام الزمخشري اسمه (الخالق) واسمه (الخالق) وهما من أسمائه الحسنی، متى أطلقاً وتجرّداً عن القرائن سبق الفهم إلى أن المراد بهما بعض الخرزّين ومن يُسْتَحْبَثُ ذكره من أحسن أهل المهن من صنّاع النعال ومُصلحي ما تحرق، ولا ينصرف إلى الله تعالى إلا مع القرينة كما هو حق المجاز.

بل أخبث من هذا أنه يلزمه نفي هذين الاسمين الشريفين عن الله تعالى من غير قرينة، كما هو علامة المجاز، فإنه لا يجوز لك أن تصف الرجل الشجاع بأنه أسد وتسميه بذلك إلا مع القرينة، ويجوز لك أن تنفي عنه اسم الأسد بغير قرينة باتفاق علماء المعاني والبيان، وإلا لزم الحاجة إلى القرينة في الحقيقة والمجاز معاً، ولم يقل بذلك قائل.

فعلى كلام الزمخشري يجوز للمسلم أن يقول: إن الله تعالى ليس بخالق ولا خلاق من غير قرينة ولا بيان لمراده.

فلو ذهبنا هذا المذهب، عطّناه سبحانه عن جميع صفاته، فإن الإرادة فينا تستلزم الحاجة، وصفة العلم والقدرة والحياة تستلزم الجسمية والبنية المخصوصة، وقد تقدم ذلك.

والعجب من الزمخشري⁽⁵⁴⁾ مع تَضَلُّعه في علم اللغة واشتغاله بتفسير القرآن والحديث، وتصنيفه فيهما "الكشاف" و"الفائق"، كيف اختار هذا المذهب الباطل، وزعم في "أساس البلاغة" أن قولنا: خلق الله الخلق من المجاز⁽⁵⁵⁾.

والذي يدلُّ على بطلان كلامه ومن تابعه من المعتزلة أن أهل اللسان العربي والمعاصرين لرسول الله ﷺ من المسلمين وغيرهم استعملوا هذه اللفظة مضافةً إلى الله عزَّ وجلَّ ومقصورةً عليه، وشاع ذلك وذاع، وتواتر واستفاض، وصدعت به النصوص، وتداوله العموم والخصوص، وكان السابق إلى الأفهام من غير قرينة.

وأجمع أهل علم التفسير من التابعين وتابعيهم بإحسان على أن نسبة الخلق إلى الله تعالى من المحكم الذي لا يحتاج إلى التأويل، ولا علامة للحقائق في جميع اللغة إلا مجرد الاستعمال الذي لا يبلغ أدنى أدنى مراتب هذا الاستعمال المتواتر المعلوم من الضرورات كلها: ضرورة اللغة وضرورة القرآن، وضرورة السنن والآثار، وضرورة إجماع المسلمين.

ولو كُفِّفَ الزمخشري أن ينقل مثل هذا الاستعمال العظيم في كل لفظة زعم أنها حقيقة لغص بريقه، بل لو

(55) أساس البلاغة (264/1).

(54) أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله. مصنف في التفسير والنحو واللغة والأدب، له تفسير الكشاف شحنه بأرائه الاعتزالية، توفي سنة (528هـ)، السير (151/20).

للسموات والأرض، وإما أن لا يحصل منه فعل بل وجدت المخلوقات بلا فعل، ومعلوم أنه اذا كان الخالق قبل خلقها ومع خلقها سواء وبعده سواء لم يجز تخصيص خلقها بوقت دون وقت بلا سبب يوجب التخصيص، و أيضاً فحدث المخلوق بلا سبب حادث ممتنع في بدايه العقل» (59)، ومقصود شيخ الإسلام بهذا إثبات قيام صفة الخلق بذاته وقيام الفعل بذاته تعالى حين يخلق ما يشاء خلقه.

وقال ابن القيم رحمه الله: « وقد أجاب عن هذا عبد العزيز بن يحيى الكناني (60) في حديثه فقال في سؤاله للمريسي (61) بأي شيء حدثت الأشياء فقال له أحدثها الله بقدرته التي لم تزل قلت له أحدثها بقدرته كما ذكرت أو ليس تقول أنه لم يزل قادرا قال بلى قلت فتقول أنه لم يزل يفعل قال لا أقول هذا قلت فلا بد أن نلزمك أن تقول أنه خلق بالفعل الذي كان بالقدرة لأن القدرة صفة ثم قال عبد العزيز لم أقل لم يزل الخالق يخلق ولم يزل الفاعل يفعل وإنما الفعل صفة والله يقدر عليه ولا يمنعه منه مانع فأثبت عبد العزيز فعلا مقدورا لله هو صفة ليس من المخلوقات وأنه به خلق المخلوقات وهذا صريح في أن مذهبه كمذهب السلف وأهل الحديث لأن الخلق غير المخلوق والفعل غير المفعول كما

ويوضح بطلان ما توهمه أنه بنى ذلك على أن حقيقة الخلق التقدير، وحقيقة التقدير عنده يستلزم الفكر، وذلك يستلزم النقص، فوجب أن لا يُنسب إلى الله تعالى إلا مجازاً. والجواب عليه أن كل ما استلزم النقص لا يُنسب إلى الله تعالى لا حقيقة ولا مجازاً، والأسماء الحسنى أرفع مرتبة من ذلك عند أهل الحق» (56).

وأهل السنة يثبتون الصفة لله بمعزل عن أثرها وهو المخلوق، وسائر أفعال الله تعالى المتعدية هي من هذا الباب، والمتكلمون الذين ينكرون قيام الصفات بذات الله - خاصة ما يتعلق بمشيئته تعالى - يفسرون الفعل بالمفعول، فيقولون الخلق هو المخلوق (57)، قال شيخ الإسلام رحمه الله: « والذي عليه جماهير المسلمين من السلف والخلف أن الخلق غير المخلوق، فالخلق فعل الخالق، والمخلوق مفعوله، ولهذا كان النبي ﷺ يستعيز بأفعال الرب وصفاته... وقد حكى البخاري (58) إجماع العلماء على الفرق بين الخلق والمخلوق، وعلى هذا يدل صريح المعقول، فإنه قد ثبت بالأدلة العقلية والسمعية أن كل ما سوى الله تعالى مخلوق محدث كائن بعد أن لم يكن، وأن الله انفراد بالقدم والازلية، وقد قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [السجدة: 4] فهو حين خلق السموات ابتداء إما أن يحصل منه فعل يكون هو خلقاً

(60) عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز بن مسلم الكناني المكي، كان يلقب بالغول لدمامة منظره. وهو الفقيه صاحب كتاب الحيدة. جرت بينه وبين بشر المريسي مناظرات في القرآن. وله مصنفات عدة، وهو أحد أتباع الشافعي، وقد طالت صحبته له، وخرج معه إلى اليمن، توفي في حدود 240هـ، تاريخ بغداد (449/10).

(61) بشر بن غياث بن أبي كريمة المريسي بفتح الميم وكسر الراء المبتدع الضال، من رؤوس الاعتزال، توفي سنة (218هـ)، السير (199/10).

(56) العواصم والقواصم (92-90/7) بتصرف يسير، وكذلك ابن جني وشيخه أبو علي لهم نفس الدعوى، انظر مختصر الصواعق لابن القيم (ص345).

(57) مقالات الإسلاميين (365/1).

(58) محمد بن اسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه، وقيل بذريه، وهي لفظة بخارية، معناها الزراع، الإمام العلامة صاحب الصحيح وغيره، أمير المؤمنين في الحديث، توفي سنة (256هـ)، السير (391/12).

(59) مجموع الفتاوى (230/6).

ومن المخالفين في الباب الفلاسفة القائلين بأنّ الصانع علة تامة، يقارنها معلولها ويصدر عنها لذاتها لا بصفة تقوم به⁽⁶⁶⁾ فهم جردوا الرب عن أسمائه وصفاته، وصفة الخلق على وجه الخصوص، وقد أخذ الفلاسفة المنتسبون للإسلام تلك الآراء الفلسفية ومزجوها بالشرعية، مثل نظرية الفيض أو الصدور⁽⁶⁷⁾، أخذها عنهم هؤلاء المتفلسفة ممن حاول الجمع بين الشرعية والفلسفة وجعلوا الفيض أو الصدور الذي عناه هؤلاء الفلاسفة هو معنى صفة الخلق لله⁽⁶⁸⁾. والمعتزلة تقول إنّه يفعل بذاته لا لمعنى يقوم به، بل هو قادر بذاته وخالق بمعنى القدرة على الإيجاد والتكوين⁽⁶⁹⁾ وقد تَقَمَّت الإشارة إلى ذلك.

المبحث الثاني: دوام اتصافه تعالى بالخلق أزلاً وأبداً

سبق تقرير أنّ الله تعالى متصف بالخلق، ونزيد هنا أنّها صفة كمال لا يخلو منها أزلاً وأبداً، فالخلق إذا صفته تعالى القائمة به، وهي سابقة لإيجاده المخلوق، فصدور المخلوقات عن الله إنما تكون بصفته القائمة بذاته تعالى، فهي متعلقة بمشيئته من حيث آحادها وآثارها، لكنها قديمة

حكاها البغوي⁽⁶²⁾ إجماعاً لأهل السنة⁽⁶³⁾ وقد صرح عبد العزيز أنّ فعله سبحانه القائم به وأنه خلق به المخلوقات، كما صرح به البخاري في آخر صحيحه وفي كتاب خلق الأفعال قال في صحيحه (باب ما جاء في تخليق السماوات والأرض وغيرها من الخلائق وفعل الرب وأمره فالرب سبحانه بصفاته وفعله وأمره وكلامه هو الخالق المكون غير مخلوق وما كان بفعله وأمره وتخليقه وتكوينه فهو مفعول مخلوق مكنون)⁽⁶⁴⁾ فصرح أمام السنة أن صفة التخليق هي فعل الرب وأمره وأنه خالق بفعله وكلامه وجميع جند الرسول وحزبه مع محمد بن إسماعيل في هذا، والقرآن مملوء من الدلالة عليه كما دل عليه العقل والفطرة قال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ [يس: 81] ثم أجاب نفسه بقوله: ﴿بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ فأخبر أنه قادر على نفس فعله وهو أن يخلق بنفس أن يخلق فعل له، وهو قادر عليه، ومن يقول لا فعل له وأن الفعل هو عين المفعول يقول لا يقدر على فعل يقوم به البتة، بل لا يقدر إلا على المفعول المباين له الحادث بغير فعل منه سبحانه⁽⁶⁵⁾.

قال بذلك الفلاسفة نفياً لأن تقوم به صفة يفعل بها تعالى مفعولاته كالقدرة والإرادة.

- (67) الفيض هو الكثرة تقول فاض الماء إذا كثر، والمعنى عند الفلاسفة بالفيض هو الصدور، وإنما استعملوا هذه اللفظة لدلالاتها على الكثرة المتدرجة المتتابعة، لأنهم يقولون إن الأول واحد بسيط والواحد البسيط لا يصدر عنه إلا واحد، ومن هذا الواحد الذي هو العقل الأول تبدأ الكثرة إذ فيه هو اثنيثية تنتج فلماً وعقلاً وهكذا تبدأ الزيادة حتى تتم العقول عشرة والأفلاك تسعة ومن ثم توجد السفليات بعد ذلك، فكل ما في الوجود من الحركات والأجسام صادر عن الأول بالفيض، انظر مقاصد الفلاسفة للغزالي (ص288) وما بعدها
- (68) انظر النجاة لابن سينا (ص454)؛ وانظر أيضاً من أفلاطون إلى ابن سينا مجموعة محاضرات للدكتور جميل صليبا (ص88-89)، والمعجم الفلسفي له كذلك. (46/2، 86).
- (69) مقالات الإسلاميين للأشعري (263/1) وما بعدها.

(62) الشيخ الإمام العلامة القدوة الحافظ شيخ الإسلام محيي السنّة أبو محمد الحسين بن مسعود بن الفراء البغوي الشافعي المفسر صاحب التنايف كشرح السنّة ومعالم التنزيل وهو التفسير، توفي سنة 516هـ، السير 19 / 439.

(63) لم أفق عليه، وقد قال في شرح السنّة: «كان الله خالقاً ولا مخلوق» لكن ليس فيه حكاية إجماع.

(64) صحيح البخاري مع الفتح (437/13).

(65) شفاء العليل (155/1).

(66) لوامع الأنوار (281/1)، والعلة التامة هي التي لا يتخلف عنها معلولها بل يقارنها لا يتقدم عنها ولا يتأخر، انظر الملل والنحل للشهرستاني (ص380، 406، 456)، و التعريفات للجرجاني (ص160). ويُعبر عنها كذلك بالموجب بالذات وهو كما قال شيخ الإسلام في الصفدية (10/1): «هو الذي تكون ذاته مستلزماً لموجبه ومقتضاه، فلا يجوز أن يتأخر عنه شيء من موجبه ومعلوله» وإنما

في حال الكتابة هو كاتب بالفعل، ولا يخرج عن كونه كاتباً في حال عدم مباشرته الكتابة»⁽⁷²⁾.

وقال الطحاوي كذلك: «ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم (الخالق) ولا بإحداثه البرية استفاد اسم (الباري)».

وقال: «له معنى الربوبية ولا مربوب، ومعنى الخالق ولا مخلوق»، قال ابن أبي العز: «يعني أن الله تعالى موصوف بأنه الرب قبل أن يوجد مربوب، وموصوف بأنه (خالق) قبل أن يوجد مخلوق»⁽⁷³⁾.

وقال الطحاوي كذلك: «وكما أنه محيي الموتى بعد ما أحيّا استحق هذا الاسم قبل إحيائهم، كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم»، قال ابن أبي العز: «يعني: أنه سبحانه وتعالى موصوف بأنه محيي الموتى قبل إحيائهم، فكذلك يوصف بأنه خالق قبل خلقهم... وتقدم تقرير أنه تعالى لم يزل يفعل ما يشاء»⁽⁷⁴⁾.

وهذا يعني أنه تعالى لم يزل فعالاً خلاقاً، كما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [الحجر: 86]، فإنّ ذلك يدل على صدور الخلق عن قدرته خلقاً بعد خلق، وهو موصوف بذلك أزلاً وأبداً، فدل على أزلية مخلوقاته وأبديتها، أعني نوعها، ولا يلزم منه مقارنة مخلوق بعينه الله تعالى بل كل مخلوق فهو مسبوق بالعدم والله تعالى قبله، قال ابن القيم رحمه الله: «وقوله: ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: 16] دليل على أمور، أحدها: أنه سبحانه يفعل بإرادته ومشيئته،

من حيث نوعها، قال الإمام الطحاوي⁽⁷⁰⁾ رحمه الله: «ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه، لم يزد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفته، وكما كان بصفاته أزلياً، كذلك لا يزال عليها أبدياً».

وعلق عليه ابن أبي العز⁽⁷¹⁾ فقال: «أي: أن الله سبحانه وتعالى لم يزل متصفاً بصفات الكمال: صفات الذات وصفات الفعل، ولا يجوز أن يعتد أن الله وُصِفَ بصفة بعد أن لم يكن متصفاً بها، لأن صفاته سبحانه صفات كمال، وفقدتها صفة نقص، ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفاً بضدّه، ولا يردّ على هذا صفات الفعل والصفات الاختيارية ونحوها، كالخلق والتصوير، والإماتة والإحياء، والقبض والبسط والطي، والاستواء والإتيان والمجيء، والنزول، والغضب والرضى، ونحو ذلك مما وصف به نفسه ووصفه به رسوله، وإن كانت هذه الأحوال تحدث في وقت دون وقت، لأنّ هذا الحدث بهذا الاعتبار غير ممتنع، ولا يطلق عليه أنه حدث بعد أن لم يكن، ألا ترى أنّ من تكلم اليوم وكان متكلماً بالأمس لا يقال: إنّه حدث له الكلام، ولو كان غير متكلم؛ لآفة كالصغر والخرس، ثم تكلم يُقال: حدث له الكلام، فالساكت لغير آفة يسمى متكلماً بالقوة، بمعنى أنه يتكلم إذا شاء، وفي حال تكلمه يسمى متكلماً بالفعل، وكذلك الكاتب

(70) أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الحجري المصري الطحاوي نسبة إلى طحا قرية من قرى الصعيد بمصر، الإمام، صاحب تصانيف باهرة من أشهرها شرح معاني الآثار وشرح مشكل الآثار، وعقيدته المختصرة دائعة الصيت، توفي سنة (321 هـ)، السير (27/15).

(71) الإمام العلامة صدر الدين أبو الحسن علي بن علاء الدين علي بن شمس الدين أبي عبدالله محمد بن شرف الدين بن أبي العز الدمشقي

الصالح الحنفي، درّس وصنّف وانتفع به الناس ومن أشهر مصنفاته شرح العقيدة الطحاوية الذي سار فيه على نهج شيخ الإسلام رحمه الله، توفي سنة 792 هـ، شذرات الذهب لابن العماد (326/6).

(72) شرح العقيدة الطحاوية (ص124).

(73) السابق (ص136).

(74) السابق.

وفي هذا الأصل يخالف الفلاسفة، وطوائف من المتكلمين الذين لا يؤمنون بتجدد شيء في ذات الباري تعالى، لأن ذلك عندهم يعني وصفه بالجسمية، فكل ما يتعاقب فيه الحوادث أو الأعراض أو يتغير فهو جسم وكل جسم مخلوق⁽⁷⁷⁾.

ولهذا أنكروا أن يكون تعالى يفعل شيئاً بمشيئة وإرادة متجددة، لا كلاماً ولا مجيباً ولا نزولاً ولا غير ذلك⁽⁷⁸⁾، فقال الفلاسفة إنه تعالى علة تامة يقارنها معلولها وجوباً بلا مشيئة ولا اختيار كما سبق.

وقال المتكلمون إنه تعالى يخلق الخلق أو يفعل ما يفعل بإرادة أو قدرة قديمة، ومن أثبت قدرة أو إرادة حادثة فيقول إنها مخلوقة لا في محل، وإنه لم يتجدد له شيء حين فعل أو خلق، وإن المعدوم أصبح ممكناً بعد أن كان ممتنعاً بدون سبب حادث ولا مرجح⁽⁷⁹⁾.

وقولهم إن القادر يمكن أن يرجح الفعل على الترك بدون ما يستلزم ذلك، فهذا أصل كبير بنى عليه النفاة نفيتهم للصفات إمّا جميعها كما هو قول المعتزلة وإمّا أفعاله الاختيارية وصفاته التي تتعلق بمشيئته كما هو قول المتكلمين من الكلابية⁽⁸⁰⁾ ومن تابعهم.

وحقيقة قول هؤلاء أنهم أرادوا الجمع بين إثباتهم القدرة القديمة والإرادة القديمة وبين قولهم في حدوث العالم وخلق الأجسام، مع نفيتهم قيام الحوادث بالله تعالى وامتناع التغير

الثاني: أنه لم يزل كذلك، لأنه ساق ذلك في معرض المدح والثناء على نفسه، وأن ذلك من كماله سبحانه، فلا يجوز أن يكون عادماً لهذا الكمال في وقت من الأوقات، وقد قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ [النحل: 17] وما كان من أوصاف كماله ونعوت جلاله لم يكن حادثاً بعد أن لم يكن⁽⁷⁵⁾.

وهذا يعني لزوماً تعلق صفة الخلق بالمشيئة والاختيار.

فإن الله تعالى إنما يخلق الخلق بمشيئة واختيار، كما قال: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: 47] وقال: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ [المائدة: 17].

وقال: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: 68].

وقال: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى: 49].

فإذا تعلق خلقه بمشيئته واختياره فهذا يعني أن الخلق كسائر صفات الأفعال المتعلقة بمشيئته تعالى صفة متجددة في ذات الباري، حدوثها وقت مشيئته كمال وعدمها نقص، وحدثها قبل مشيئته نقص وعدمها كمال، هذا هو مذهب أئمة السلف فيها⁽⁷⁶⁾.

(75) التبيان في أقسام القرآن (ص57).

(76) مجموع الفتاوى (241/6).

(77) انظر الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي (8-12) والإنصاف للباقلاني (ص26) ثم انظر درء التعارض لابن تيمية (2/128) وما بعدها.

(78) غاية المرام للشهرستاني (1/85) والإنصاف للباقلاني (ص58) ومقالات الإسلاميين (538-539/1) و (545/1).

(79) الصفدية (104/2).

(80) الكلابية أتباع عبدالله بن سعيد بن كلاب القطان البصري رأس المتكلمين بالبصرة صاحب التصانيف في الرد على المعتزلة، وإن كان في خضم هذه التصانيف قد خالف مذهب السلف في مواضع عديدة، عاش إلى قبل سنة (240هـ)، السير (11/174) والطبقات للسبكي (2/299).

يشاء ويختار، فهو فاعل لما يشاءه إذا شاء، وهو موجب له بمشيئته وقدرته»⁽⁸²⁾.

ومن المخالفات في هذا الباب قول النظامية أتباع النظام⁽⁸³⁾ أن الله تعالى خلق الموجودات دفعة واحدة على ما هي عليه الآن معادن ونباتات وحيوانات وإنساناً، ولم يتقدم خلق آدم عليه السلام خلق أولاده غير أن الله تعالى أكمّن بعضها في بعض، فالتقدم والتأخر إنما يقع في ظهورها من مكانها دون حدوثها ووجودها، وإنما أخذ هذه المقالة من أصحاب الكمون والظهور من الفلاسفة⁽⁸⁴⁾.

و"الظهور والكمون" هو قول بعض الطوائف إنّ الأجسام لا يوجد فيها ما هو بسيط صرف، بل كل جسم فإنه مختلط من جميع الطبائع المختلفة لكنه يسمى باسم الغالب الظاهر فإذا لقيه ما يكون الغالب عليه من جنس ما كان مغلوباً فيه فإنه يبرز ذلك المغلوب من الكمون ويحاول مقاومة الغالب حتى يظهر⁽⁸⁵⁾.

وسبب اختياره هذا هو فراره من إثبات قدرة متجددة في ذات الرب أو ما يسميه الحوادث أو الأعراض وإنما يثبتون قدرة قديمة أو يقولون هو قادر بذاته، وفي نفس الوقت يرى أنّ موجب الخلق هو القدرة القديمة واللازم لا يتأخر عن ملزومه فلجأ إلى هذه الفلسفة القديمة لحل هذا الإشكال الذي بناه على أصول فاسدة أوجبت أقوالاً أشدّ فساداً.

تسلسل مفعولات الرب

في ذاته، فاضطروا للقول بأنّ الممكن يظلّ ممكناً مع إرادة الله له⁽⁸¹⁾.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «ويزكرون في كونه موجباً بذاته وفاعلاً بمشيئته وقدرته قولين فاسدين، أحدهما: قول من يقول المتفلسفة وإنّ معلوله يجب أن يكون مقارناً له في الزمان أزلاً وأبداً.

والثاني: قول من يقول: إنّهُ فاعل مختار لكنه يفعل بوصف الجواز فيرجح أحد المتماثلين على الآخر بلا مرجح، إمّا بمجرد كونه قادراً، أو لمجرد كونه قادراً عالماً، أو لمجرد إرادته القديمة التي ترجح مثلاً على مثل بلا مرجح، ويقولون: إنّ الحوادث تحدث بعد أن لم تكن حادثة من غير سبب يوجب الحدوث فيقولون بتراخي الأثر عن المؤثر التام، وهذا وإن كان خيراً من الذي قبله ففساده أيضاً بيّن.

والقول الثالث: قول أئمة السنة: إنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فما شاء الله وجب بمشيئته وقدرته، وما لم يشأ امتنع لعدم مشيئته له، فهو موجب بمشيئته وقدرته لا بذات خالية عن الصفات، وهو موجب له إذا شاءه لا موجب له في الأزل كما قال: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس: 82) وهذا الإيجاب مستلزم لمشيئته وقدرته لا منافٍ لذلك، بل هو سبحانه يخلق ما

(81) انظر مجموع الفتاوى (172/17) و(221/12).

(82) درء تعارض العقل والنقل (324/2).

(83) أبو إسحاق إبراهيم بن سيار بن هانيء المعروف بالنظام، عاش في شبابه قوماً من الثانوية والسمنية القائلين بتكافؤ الأدلة وخالف في كبره قوماً من الفلاسفة واتصل بهشام بن الحكم الرافضي، من أشهر بدعه قوله بالطرفة التي لم يسبق إليها وأنكر إعجاز القرآن والمعجزات كلها، وأنكر حجية الإجماع وقد كفره أغلب المعتزلة، توفي سنة (231هـ) وقيل قبل ذلك، انظر

الفرق بين الفرق (ص113) وما بعد، وانظر تاريخ بغداد (97/6) والسير للذهبي (541/01).

(84) الانتصار لأبي الحسين الخياط (ص44)، وانظر المواقف (662/3)، والملل والنحل للشهرستاني (52/1).

(85) المواقف (242/2) وانظر الفصل لابن حزم (39/5) والملل للشهرستاني (63/2).

ويتفرع عن هذا مسألة تسلسل الحوادث المشهورة التي لم يفهمها حق الفهم كثير ممن قرأ كلام شيخ الإسلام ابن تيمية فيها، فمنهم من عارضه بحديث «أول ما خلق الله القلم»⁽⁸⁶⁾ وحديث: «كان الله ولا شيء قبله»⁽⁸⁷⁾، ومنهم من اتهمه بالقول بقدم العالم⁽⁸⁸⁾، والحق بمعزل عن هذين، فإن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إنما قال بإمكان حوادث لا أول لها ولم يثبت وجود مخلوق معين أو حادث معين قديم مقارنة للخالق سبحانه وتعالى، وهذا إنما قاله في معرض رده على المتكلمين بشئ أصنافهم الذين التزموا أن الخالق سبحانه كان معطلاً عن الفعل أو كان ممتنعاً عليه أو نحو ذلك من العبارات وأن الفعل انقلب من الامتناع إلى الإمكان بدون تجدد شيء ولا سبب ولا مرجح إلى آخر أقوالهم⁽⁸⁹⁾، والصحيح ما حكاه ابن تيمية عن السلف وفق أصولهم أنه لا أول لأفعال الله تعالى ولا آخر، ومن أفعاله تعالى الخلق، فإنه متصف بالخلق أزلاً وأبداً كما سبق عن صاحب الطحاوية، والله تعالى لا أول له، وما من وقت يفرضه الذهن إلا والله تعالى قادر فيه على الفعل بمشيئته، والأوقات في الأزل لا أول لها، فيصح أن إمكان الفعل - ومنه الخلق - لا أول له.

وإذا كان الفعل ممكناً فلا يتصور أن الله بقي آماد طويلة لا يفعل، ومن أعظم أفعال الله تعالى الخلق، فثبت بهذا التقرير أن مخلوقاته لا أول لها، إما على سبيل الإمكان أو على سبيل الوقوع، قال ابن القيم في معرض ذكره أجوبة

أهل السنة على شبهات القدرية ومحاولتهم إبطال قول أهل السنة في إثبات صفة الخلق وقيامها به تعالى بالزامهم أحد أمرين إما إثبات قدم المخلوق، وإما إثبات التسلسل: «وقالوا: ليس في العقل ولا في الشرع ما ينفي دوام فاعلية الرب سبحانه وتعاقب أفعاله شيئاً قبل شيء إلى غير غاية، كما تتعاقب شيئاً بعد شيء إلى غير غاية، فلم يزل فعلاً، قالوا: والفعل صفة كمال، ومن يفعل أكمل ممن لا يفعل قالوا: ولا يقتضي صريح العقل إلا هذا، ومن زعم أن الفعل كان ممتنعاً عليه سبحانه في مدد غير مقدرة لا نهاية لها ولا يقدر أن يفعل، ثم انقلب الفعل من الاستحالة الذاتية إلى الإمكان الذاتي من غير حدوث سبب ولا تغير في الفاعل؛ فقد نادى على عقله بين الأنام، قالوا: وإذا جاز هذا في العقول جاز أن ينقلب العالم من العدم إلى الوجود من غير فاعل، وإن امتنع هذا في بدايه العقول فكذلك نجد إمكان الفعل وانقلابه من الامتناع الذاتي إلى الإمكان الذاتي بلا سبب، وأما أن يكون هذا ممكناً وذلك ممتنعاً فليس في العقول ما يقضي بذلك.

قالوا: والتسلسل لفظ مجمل لم يرد بنفيه ولا إثباته كتاب ناطق ولا سنة متبعة فيجب مراعاة لفظه، وهو ينقسم إلى واجب وممتنع وممكن، كالتسلسل في المؤثر محال ممتنع لذاته، وهو أن يكون مؤثرين كل واحد منهم استفاد تأثيره ممن قبله لا إلى غاية.

(88) انظر كتاب دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية للدكتور عبد الله بن صالح بن عبد العزيز الغصن، الفصل الثالث منه.

(89) منهاج السنة (1/156).

(86) أخرجه أحمد (317/5)، وأبوداود في السنة (4700)، والترمذي في القدر (ح 2155) وقال: «حسن صحيح غريب» من مسند عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(87) أخرجه البخاري (ح 7418) عن عمران بن حصين مرفوعاً، وفي لفظ «لا شيء غيره»، وفي غير البخاري «ولا شيء معه»، انظر الفتوح (410/13).

المبحث الثالث: عموم خلقه تعالى

الذي عليه إجماع أهل السنة الإيمان بعموم خلقه سبحانه لكل شيء، كما قال عزوجل: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَتَى يَكُونُ لَهُ، وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 101]، وقال: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 102] وقال: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: 16].

قال شيخ الإسلام: «وأصل ذلك تقريرهم: أن الله خالق كل شيء ولا خالق غيره، وهذا مذهب سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة، وهو أحسن ما امتاز به الأشعري⁽⁹²⁾ عن طوائف المتكلمين وبالع في ذلك حتى جعل أخص أوصاف الربّ القدرة على الاختراع وزعم أن هذا معنى الإلهية»⁽⁹³⁾.

وما ذكره شيخ الإسلام نلاحظ فيه ربطه بين عموم خلقه وبين انفراده بالخلق، فلا خالق إلا هو سبحانه، قال السفاريني رحمه الله: «فكل ما سواه سبحانه بأسمائه وصفاته محدث مسبوق بالعدم، وهذا المتفق عليه عند سلف الأمة وأئمتها من أن الله تعالى خالق كل شيء وربّه ومليكه، وأنه خالق كل شيء بقدرته ومشيتته، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، فهو سبحانه وتعالى خالق الممكنات المحدثات من الأجسام والأعراض القائمة بالحيوان والجماد والمعادن والنبات وغيرها.

والتسلسل الواجب ما دلّ عليه العقل والشرع من دوام أفعال الرب تعالى في الأبد، وأنه كلما انقضى لأهل الجنة نعيم أحدث لهم نعيماً آخر لا نفاد له، وكذلك التسلسل في أفعاله سبحانه من طرف الأزل، وأن كل فعل مسبوق بفعل آخر، فهذا واجب في كلامه، فإنه لم يزل متكلاً إذا شاء ولم تحدث له صفة الكلام في وقت، وهكذا أفعاله التي هي من لوازم حياته، فإن كل حيّ فعال، والفرق بين الحيّ والميت بالفعل، ولهذا قال غير واحد من السلف: الحيّ الفعال، وقال عثمان بن سعيد: «كل حيّ فعال»⁽⁹⁰⁾ ولم يكن ربنا سبحانه قط في وقت من الأوقات المحققة أو المقدرة معطلاً عن كماله من الكلام والإرادة والفعل.

وأما التسلسل الممكن فالتسلسل في مفعولاته من هذا الطرف، كما يتسلسل في طرف الأبد، فإنه إذا لم يزل حياً قادراً مريداً متكلاً وذلك من لوازم ذاته، فالفعل ممكن له بوجوب هذه الصفات له، وأن يفعل أكمل من أن لا يفعل، ولا يلزم من هذا أنه لم يزل الخلق معه، فإنه سبحانه متقدم على كل فرد من مخلوقاته تقدماً لا أول له، فلكل مخلوق أول، والخالق سبحانه لا أول له، فهو وحده الخالق وكل ما سواه مخلوق كائن بعد أن لم يكن، قالوا: وكل قول سوى هذا فصريح العقل يردّه ويقضي ببطلانه، وكل من اعترف بأنّ الربّ سبحانه لم يزل قادراً على الفعل لزمه أحد أمرين لا بد له منهما، أما أن يقول بأنّ الفعل لم يزل ممكناً، وأما أن يقول لم يزل واقعاً»⁽⁹¹⁾.

علي الجبائي المعتزلي وأخذ السنة عن زكريا الساجي وغيره، نشأ معتزلياً ثم تحوّل بعد أربعين سنة إلى مذهب ابن كلاب، توفي سنة (324هـ)، انظر السير (85/15) وطبقات الشافعية للسبكي (347/3).

(93) بغية المرتاد (ص261).

(90) لم أجده في الرد على الجهمية ولا نقض المريسي.
(91) شفاء العليل (ص156)، وانظر كذلك منهاج السنة (144/1) وما بعد و (157/1) وما بعد.

(92) إمام المتكلمين أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر، من ولد أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أخذ عن أبي علي الجمحي وأبي

يحسن الخلق وهو المحاولة ولا يكون الشيء في نفسه «حسناً» وإذا قال: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ اقتضى أن كل شيء (شيء) خلقه حسن بمعنى أنه وضع كل شيء في موضعه»⁽⁹⁹⁾.

وقال: ﴿وَرَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَمَادًا وَهُوَ ثَمَرُ الْمَرْمَرِ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: 88]، قال ابن عادل: «أي: انظروا صنع الله وعليكم به، والإتيان: الإتيان بالشيء على أكمل حالاته،... ومعنى ﴿أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي: أحكمه»⁽¹⁰⁰⁾. وقال: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ [الأعلى: 2]، قال ابن كثير: «أي: خلق الخليقة وسوى كل مخلوق في أحسن الهيئات»⁽¹⁰¹⁾. ودلالة الآيات وغيرها أن الله نفى عن خلقه القبح والخلل، ولاشك أن الخلل والقبح شر، سواء ما كان من أفعال المكلفين أو غيرها.

وقد صح عنه × من حديث علي رضي الله عنه في حديث الاستفتاح بالليل قوله: «لبيك وسعديك والخير كله في يديك والنشر ليس إليك»⁽¹⁰²⁾.

قال الطحاوي: «فتأملنا قوله ×: «والشر ليس إليك» فوجدناه محتملاً أن يكون أراد به والشر غير مقصود به إليك لأن من يعمل الخير يقصد به إلى الله عز وجل رجاء ثوابه وإنجاز ما وعد عليه ومن عمل شراً فليس يقصد به إلى الله عز وجل وإن كان كل واحد من الخير ومن الشر فمن الله

وهذا الذي دلت عليه الكتب المنزلة، وأخبرت به الرسل المرسله وعليه سلف الأمة وأئمتها بل وعليه جماهير العقلاء وأكابرهم من جميع الطوائف»⁽⁹⁴⁾.

* خلق الله الشر

قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة: 7]، وفي قراءة بتسكين اللام أي {خلقه} وفي تفسيرها عدد من الأقوال⁽⁹⁵⁾، قال البقاعي⁽⁹⁶⁾: «ولما كان هذا الإحسان عاماً، خصه بأن وصفه - على قراءة المدني والكوفي - بقوله: {خلقه} فبين أن ذلك بالإتيان والإحكام، كما فسر ابن عباس رضي الله عنهما من حيث التشكيل والتصوير، وشق المشاعر، وتهئية المدارك، وإفاضة المعاني، مع المفارقة في جميع ذلك، وإلى هذا أشار الإبدال في قراءة الباقيين، وعبر بالحسن لأن ما كان على وجه الحكمة كان حسناً وإن رآه الجاهل القاصر قبيحاً»⁽⁹⁷⁾.

وقال ابن عادل⁽⁹⁸⁾: «أن تعود الهاء على «الله» تعالى وأن يكون «خَلَقَهُ» منصوباً على المصدر المؤكد لمضمون الجملة كقوله: ﴿صُنْعَ اللَّهِ﴾، وهو مذهب سيبويه أي خَلَقَهُ خَلْقًا، وَرَجَّحَ على بدل الاشتمال بأن فيه إضافة المَصْدَر إلى فاعله، وهو أكثر من إضافته إلى المفعول وبأنه أبلغ في الامتتان لأنه إذا قال: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ كان أبلغ من {أحسن خلق كل شيء}؛ لأنه قد

(94) لوامع الأنوار (277/1).

(95) انظر تفسير ابن جرير (170/20).

(96) إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط، الخرباوي، البقاعي، الشافعي، عالم، أديب، مفسر، محدث، ومؤرخ، أصله من البقاع في سورية، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، وتوفي بدمشق، له العديد من المصنفات منها تفسيره، توفي سنة (885هـ)، الأعلام للزركلي (56/1).

(97) نظم الدرر (243/15).

(98) عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي، أبو حفص، سراج الدين، من علماء القرن التاسع، توفي بعد سنة (880هـ)، انظر ترجمته في مقدمة تحقيق تفسيره المشهور.

(99) اللباب (477/15).

(100) اللباب (207/15).

(101) تفسير القرآن العظيم (379/8).

(102) أخرجه مسلم (ح 771) ولفظه طويل.

وخيرية الإله أمر متفق عليه بين العقلاء من أتباع الأديان حتى تلك المحرفة والوضعية والفلسفية، إذ الرب في تصور الجميع يجب أن يكون مصدر جلب الخير ودفع الشر، وقد وقع بعض الناس في إشكال بين هذه المسألة وبين حقيقة وجود الشر في العالم، سواء كان الشر من فعل الإنسان كالظلم والقتل والسرقة ونحوها، أو ما يحدث في الكون من الزلازل والأمراض والفيضانات ونحوها، فكيف يوفقون بين خيرية الإله وبين خلقه لهذه الشرور؟

ومشكلة وجود الشر هي المعضلة الأكثر حضوراً في الفكر الفلسفي، وتسمى بمعضلة أبيقور⁽¹⁰⁵⁾، ويعدّ من أوائل الذين ناقشوا الفكرة من زاوية منطقية، وتقوم فكرته على أنّ إذا كان هناك إله ذو قدرة كلية وخيرية كلية فالنتيجة هي عدم وجود الشر، وبما أنّ الشر موجود حتماً فهذا يعني أنّ الإله غير جدير بالعبودية لأنّه غير كامل القدرة أو غير كامل الخيرية أو أنّه غير موجود أصلاً⁽¹⁰⁶⁾.

والإيمان بعموم خلق الله تعالى مركوز في أصل الفطرة، ولم يخالف فيه إلا بعض الفلاسفة وبعض أتباع الديانات الذين أنكروا أن يكون الله خالقاً للشر، ومن أشهر القائلين

عز وجل، كما قال عز وجل: ﴿وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [النساء: 78] أي فإن ذلك كله من عند الله فييسر أهل السعادة للخير فيعملونه فيثيبهم ويجازيهم عليه وييسر أهل الشقاء للشر فيعملونه فيعاقبهم عليه إلا أن يعفو عنهم فيما يجوز عفوّه عن مثله وهو ما خلا الشرك⁽¹⁰³⁾.

وقال النووي: «وأما قوله: «والشر ليس إليك» فمما يجب تأويله، لأنّ مذهب أهل الحق أنّ كل المحدثات فعل الله تعالى وخلقها، سواء خيرها وشرها، وحينئذ يجب تأويله، وفيه خمسة أقوال أحدها: معناه لا يُقَرَّب به إليك، والثاني: معناه لا يضاف إليك على انفراده، لا يقال: يا خالق القردة والخنازير و يارب الشر ونحو هذا، وإن كان خالق كل شيء ورب كل شيء، وحينئذ يدخل الشر في العموم، والثالث: معناه والشر لا يصعد إليك، إنما يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح، والرابع: معناه والشر ليس شراً بالنسبة إليك فإنك خلقتة بحكمة بالغة وإنما هو شر بالنسبة إلى المخلوقين، والخامس: حكاية الخطابي أنه كقولك فلان إلى بني فلان إذا كان عداؤه فيهم أو صفوه إليهم⁽¹⁰⁴⁾.

وكل هذه الأقوال مردّها إلى أنّ المعنى: الشر لا يُنسب إليك، وهو كذلك فليس في خلق الله ولا في فعله شر في نفسه، وإن كان شراً بالنسبة لبعض خلقه.

فهذه النصوص وغيرها تدل على أنّ أفعال الله كلها خير وحكمة، وخلقها كله خير، ليس فيها شر محض ولا ضرر محض بل يفعل ويخلق بعلم وحكمة ورحمة.

(105) قصة الحضارة (167/8).

(106) مشكلة الشر ووجود الله، <https://yaqeen.net/>

(103) شرح مشكل الآثار (95/4).

(104) المنهاج (59/6).

وهذا التصور الفاسد الذي ظنوه مقتضى التنزيه هو الذي ساعد على انتقال العقيدة الزرادشتية⁽¹¹²⁾ من التوحيد إلى الثنوية⁽¹¹³⁾ فجعلوا للخير إلهاً وللشر إلهاً آخر⁽¹¹⁴⁾.

وهذا الخط كله نتج عن التباس لدى كل هؤلاء الملاحدة وغيرهم من المجوس وأشباههم من الإسلاميين، في أمرين:

الأول: أنهم لم يفرقوا بين فعل الله القائم به وبين مفعوله المنفصل عنه، فالشر في الثاني لا في الأول، والشر لا يُنسب إلى خالقه بل إلى فاعله وفرق بينهما، وذلك كالفرق بين الخياط الذي يخطط الثوب بإتقان وبين لابس الثوب على غير وضعه فيُذم اللابس دون الصانع، والله المثل الأعلى.

الأمر الآخر: أنهم لم يفرقوا بين الشر المحض الذي لا يكون فيه حكمة ولا خير ولا مصلحة وبين الشر النسبي الذي يكون فيه شر لبعض خلقه وخير لبعض آخر، فهذا الشر وإن لم يُنسب إليه أدباً معه تعالى فهو خالقه وله فيه حكمة وخير ومصلحة يعلمها البعض وتخفى عن البعض،

بذلك المجوس⁽¹⁰⁷⁾ والديسانية⁽¹⁰⁸⁾ والمزدكية⁽¹⁰⁹⁾، قال ابن حزم حاكياً عنهم حجّتهم على قولهم هذا: «قالوا: وجدنا الحكيم لا يفعل الشر، ولا يخلق خلقاً ثم يسلط غيره عليه، وهذا عيب في المعهود، ووجدنا العالم كله ينقسم قسمين، كل قسم منهما ضد الآخر كالخير والشر، والفضيلة والرديلة والحياة والموت والصدق والكذب، فعلمنا أنّ الحكيم لا يفعل إلاّ الخير، وما يليق فعله به، وعلمنا أنّ الشرور لها فاعل غيره وهو شرّ مثلها»⁽¹¹⁰⁾.

ومقصودهم بهذا التقي تنزيه البارئ بناء على أنّ خالق الشر عندهم شر هو بنفسه، ولهذا برروا وجود الشرّ بأنّه مخلوق بواسطة، قال ابن حزم رحمه الله: «فإنّ المتكلمين ذكروا عنهم أنّهم يقولون: إنّ البارئ عزوجل لما طالت وحدته استوحش فلما استوحش فكّر فكرة سوء فتجسّمت فاستحالت ظلمة فحدث منها أهرمن وهو إبليس... وشرع أهرمن في خلق الشرّ»⁽¹¹¹⁾، فحتى إبليس ابتعدوا عن التلطف بخلق الله له وكذلك الظلمة، بل أضافوا خلقه إلى نفسه حيث قالوا «فاستحالت» ولم يقولوا: خلقها الله، لأنّهم يعلمون أنّه يلزمهم في هذا ما يلزمهم في سائر الشرور.

وكان مع هذا إباحياً يدعو إلى شيوع المال والنساء، وحرّم على أتباعه اللحم، انظر المال والنحل(275/2)، والكامل لابن الأثير(377/1 و395).

(110) الفصل (93/1)، شرح المقاصد للتقازاني(102/4).

(111) الفصل(86/1).

(112) أصحاب زرادشت بن بورشسب وقال ابن الأثير بن سقمان، الذي ظهر في زمان كشتاسف ابن لهراسب الملك، قيل إنّ دعوته كانت عبادة إله واحد لاشريك له، وزعم أن الموجودات وجدت من امتزاج النور والظلمة ومن امتزاجهما حدثت الصور والتراكيب وهما يتقاومان ويتغالبان وأنّ الله لا يجوز أن يُنسب إليه وجود الظلمة مع أنّ الله هو خالق النور والظلمة وهو مزججهما وخططهما، انظر الكامل لابن الأثير(225/1) والمال والنحل(264/2) وما بعد.

(113) مذهب من يزعم أنّ النور والظلمة أزليان قديمان متساويان في القدم واختلافهما في الجوهر والطبع والفعل، انظر المال والنحل(268/2).

(114) انظر الأسفار المقدسة لوافي(ص164).

(107) هم عبدة النيران القائلون أن للعالم أصليين نور وظلمة، وهم من أقدم الطوائف وأصلهم من بلاد فارس، ومسائل المجوس كلها تدور حول قاعدتين: بيان سبب امتزاج النور بالظلمة، والثانية: سبب خلاص النور من الظلمة، ولهم في هذا تفصيلات ومذاهب شتى، انظر المال والنحل(257/2) وما بعدها.

(108) أتباع ديصان وقيل ابن ديصان، كان أسقفاً بالزهاء، سُمي ديصانا نسبة إلى نهر يُسمى ديصان وُجد عليه منبوءاً وهو من القائلين بالأصليين النور والظلمة فالنور يفعل الخير قصداً واختياراً والظلمة تفعل الشر طبعاً واضطراً، انظر المال والنحل(278/2) والكامل في التاريخ لابن الأثير(294/1).

(109) أتباع مزدك، ظهر في أيام قباد بن فيروز والد أنوشروان ودعاه إلى مذهبه فأجابه، ثم ظفر به أنوشروان وعلم خبث مذهبه فقتله، والمزدكية من فرق المجوس القائلين بالأصليين النور والظلمة، فإنّ مزدك ادعى أنّه يدعو إلى دين الخليل عليه السلام وكان تابعاً لزرادشت في بعض ما جاء به،

وذلك خير كله، والشر وضع الشيء في غير محله، فإذا وضع في محله لم يكن شراً، فعلم أن الشر ليس إليه»⁽¹¹⁶⁾.

وقال كذلك: « ونكتة المسألة، الفرق بين ما هو فعل له تستلزم محبته وقوعه منه، وبين ما هو مفعول له لا تستلزم محبته له وقوعه من عبده، وإذا عُرف هذا فالظلم والكفر والفسوق والعصيان وأنواع الشرور واقعة في مفعولاته المنفصلة التي لا يتّصف بها، دون أفعاله القائمة به، ومن انكشف له لهذا المقام فهم معنى قوله ص ×: «والشر ليس إليك» فهذا الفرق العظيم يزِيل أكثر الشبه التي حارت لها عقول كثير من الناس في هذا الباب، وهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بأذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، فما في مخلوقاته ومفعولاته تعالى من الظلم والشر فهو بالنسبة إلى فاعله المكلف الذي قام به الفعل، كما أنه بالنسبة إليه يكون زنا وسرقة وعدواناً وأكلاً وشرباً ونكاحاً، فهو الزاني السارق الآكل الناكح، والله خالق كل فاعل وفعله، وليست نسبة هذه الأفعال إلى خالقها كنسبتها إلى فاعلها الذي قامت به، كما أن نسبة صفات المخلوقين إليه كطوله وقصره وحسنه وقبحه وشكله ولونه ليست كنسبتها إلى خالقها فيه، فتأمل هذا الموضع وأعطِ الفرق حقّه وفرق بين النسبتين، فكما أن صفات المخلوق ليست صفات لله بوجه، وإن كان هو خالقها، فكذلك أفعاله ليست أفعالاً لله تعالى، ولا إليه، وإن كان هو خالقها»⁽¹¹⁷⁾.

أفعال العباد

وكل ما ناره في الأرض من أنواع الشرور هو من هذا القبيل.

وبهذا نعلم أنه لا تعارض بين الخيرية المطلقة للرب تبارك وتعالى وبين هذا الشر الموجود في العالم.

قال ابن القيم رحمه الله في الفرق بين الحسنة والسيئة: « أن الحسنة مضافة إليه لأنه أحسن بها من كل وجه وبكل اعتبار كما تقدم فما من وجه من وجوها إلا وهو يقتضي الإضافة إليه وأما السيئة فهو سبحانه إنما قدرها وقضاها لحكمته وهي باعتبار تلك الحكمة من إحسانه فإن الرب سبحانه لا يفعل سوءاً قط كما لا يوصف به ولا يسمى باسمه بل فعله كله حسن وخير وحكمة كما قال تعالى بيده الخير وقال أعرف الخلق به والشر ليس إليك فهو لا يخلق شراً محضاً من كل وجه بل كل ما خلقه ففي خلقه مصلحة وحكمة وإن كان في بعضه شر جزئي إضافي وأما الشر الكلي المطلق من كل وجه فهو تعالى منزّه عنه وليس إليه»⁽¹¹⁵⁾.

وقال: « فتبارك وتعالى عن نسبة الشر إليه، بل كل ما نسب إليه فهو خير، والشر إنما صار شراً لانقطاع نسبته وإضافته إليه، فلو أضيف إليه لم يكن شراً، وهو سبحانه خالق الخير والشر، فالشر في بعض مخلوقاته لا في خلقه وفعله، وخلقّه وفعله وقضاؤه وقدره خير كله، ولهذا تنزه سبحانه عن الظلم الذي حقيقته وضع الشيء في غير موضعه، فلا يضع الأشياء إلا في مواضعها اللائقة بها،

(117) مفتاح دار السعادة (112/2).

(115) شفاء العليل (169).

(116) السابق (ص179).

والسيئات التي هي عقوبات، وهو شر في المجاز وسيئات في المجاز، وقال عباد⁽¹²²⁾: إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلُقُ شَيْئاً نَسْمِيهِ شِراً أَوْ سَيِّئَةً فِي الْحَقِيقَةِ⁽¹²³⁾.

ويبدو أَنَّ عِبَادَ بن سلمان عندما نفى خلق الله للشر قد طرد أصل المجوس ونحوهم ممن يرى أَنَّ الشرور مطلقاً لا تصدر عن الباريء، ولا يُتصوّر عندهم صدور المتضادات عن ذات واحدة.

وبناء عليه طردوا هذا الأصل ونفوا خلق الله لأفعال العبد تنزيهاً لله عن الظلم. زعموا. وهذا النفي منهم معناه أَنَّ الله تعالى لا يُوصف بالقدرّة على أفعال العبد.

قال القاضي عبد الجبار: «والغرض به الكلام في أَنَّ أفعال العباد غير مخلوقة فيهم وأنهم المحدثون لها»⁽¹²⁴⁾.

ويقول في موضع آخر: «اتَّفق أهل العدل على أَنَّ أفعال العباد من تصرفهم وقيامهم وقعودهم حادثة من جهتهم وأنَّ الله عز وجل أقدرهم على ذلك ولا فاعل لها ولا محدث سواهم وأنَّ من قال: إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ خَالِقُهَا وَمُحَدِّثُهَا فَقَدْ عَظُمَ خَطْؤُهُ»⁽¹²⁵⁾.

وقد ردّ عليهم سائر أهل الملة من السلف والخلف، وأنكروا عليهم مقالاتهم التي تتصادم مع نصوص قطعية كثيرة وأصول عقلية صريحة لا يتسع البحث لسردها⁽¹²⁶⁾، والغرض أَنَّ الإيمان بعموم خلقه تعالى أصل من أصول

وكذلك خالف في عموم خلقه تعالى القدرية الذين زعموا أَنَّ الله لم يخلق أفعال العباد وإنما هم خلقوا أفعالهم، قال أبو الحسن الأشعري: «أجمعت المعتزلة على أَنَّ الله سبحانه لم يخلق الكفر والمعاصي ولا شيئاً من أفعال غيره»⁽¹¹⁸⁾، ولذا سماهم السلف مجوس هذه الأمة⁽¹¹⁹⁾، وأضافوا إلى ذلك نفي قدرته تعالى على أفعال الحيوان الاختيارية وأخرجوها من عموم خلقه من جهة ما يقتضيه أصل العدل الَّذي بنوه على أَنَّ الله منزّه عن الظلم والجور، إذ خُلِقَ الكفر والمعصية في العبد ثم عقوبته عليها ظلّم في تصوّر هؤلاء، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «القدرية الثانية المجوسية: الذين يجعلون لله شركاء في خلقه... فيقولون: خالق الخير، غير خالق الشر، ويقول من كان منهم في ملتنا: إن الذنوب الواقعة ليست واقعة بمشيئة الله تعالى، وربما قالوا: ولا يعلمها أيضاً ويقولون: إن جميع أفعال الحيوان واقع بغير قدرته ولا صنعه فيجدون مشيئته النافذة وقدرته الشاملة، ولهذا قال ابن عباس: «القدر نظام التوحيد فمن وحد الله وآمن بالقدر تم توحيده، ومن وحد الله وكذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده»⁽¹²⁰⁾، ويزعمون أَنَّ هذا هو العدل ويضمون إلى ذلك سلب الصفات، ويسمونّه التوحيد»⁽¹²¹⁾.

واختلفوا فيما هو شر بمعنى المرض ونحوه، فقال جمهور المعتزلة إِنَّ الله يخلق الشر الذي هو مرض

(123) إنقاذ البشر من الجبر والقدر للشريف المرتضى ضمن رسائل العدل والتوحيد (271/1)، والانتصار للخياط ص 47 و 65، وانظر مقالات الإسلاميين (312/1).
(124) شرح الأصول الخمسة (ص 323).
(125) المغني (3/8).
(126) انظر شرح أصول الاعتقاد لللكاني (446/1) وكتاب خلق أفعال العباد للإمام البخاري.

(118) مقالات الإسلاميين (298/1).
(119) الإبانة لابن بطّة (95/2).
(120) أخرجه ابن بطّة في القدر (159/2).
(121) مجموع الفتاوى (258/8).
(122) أبو سهل عباد بن سلمان البصري المعتزلي من أصحاب هشام الفوطي، السّير (551/10).

اليهم محمد × أولاً لم يكونوا يخالفونه في هذا، بل كانوا يقرّون بأن الله خالق كل شيء... فقد تبين أن ليس في العالم من ينازع في أصل هذا الشرك ولكن غاية ما يقال: إنّ من الناس من جعل بعض الموجودات خلقاً لغير الله كالتقديرة وغيرهم، لكن هؤلاء يقرّون بأنّ الله خالق العباد وخالق قدرتهم، وإن قالوا إنّهم خلقوا أفعالهم.

وكذلك أهل الفلسفة والطبع والنجوم الذين يجعلون بعض المخلوقات مبدعة لبعض الأمور هم مع الإقرار بالصانع يجعلون هذه الفاعلات مصنوعة مخلوقة لا يقولون إنّها غنية عن الخالق، مشاركة له في الخلق فأما من أنكر الصانع فذاك جاحد معطل للمصانع كالقول الذي أظهره فرعون، والكلام الآن مع المشركين بالله المقربين بوجوده، فإن هذا التوحيد الذي قرّروه لا ينازعهم فيه هؤلاء المشركون بل يقرّون به مع إنّهم مشركون كما ثبت بالكتاب والسنة والإجماع وكما علم بالاضطرار من دين الإسلام»⁽¹²⁷⁾. ❖❖❖

الخاتمة

بعد هذه الرحلة في معاني الخلق في القرآن وما نسب إلى الله منه خلصت إلى النتائج التالية:

1. أنّ منهج السلف الصالح هو المنهج العدل الوسط الذي يجمع بين دلالة النقل ودلالة العقل.
2. أنّ مذهب السلف الصالح الإيمان باسمه تعالى الخالق وما تضمّنه من صفة الخلق لله تعالى على الوجه اللائق به، وأنّها صفة أزلية وأبدية لا ينفك عنها تعالى، وأنّه يخلق الخلق بواسطة وبدون واسطة.

الإيمان والإسلام والفترة، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «ومعلوم أن أحد من الخلق لم يزعم أن الأنبياء والأحبار والرهبان والمسيح بن مريم شاركوا الله في خلق السموات والأرض، بل ولا زعم أحد من الناس أن العالم له صانعان متكافئان في الصفات والأفعال، بل ولا أثبت أحد من بني آدم إلهاً مساوياً لله في جميع صفاته، بل عامة المشركين بالله: مقرّون بأنه ليس شريكه مثله، بل عامتهم يقرّون أنّ الشريك مملوك له، سواء كان ملكاً أو نبياً أو كوكباً أو صنماً كما كان مشركوا العرب يقولون في تليبتهم: (إليك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك، لك وما ملك» وقد ذكر أرباب المقالات ما جمعوا من مقالات الأولين والآخرين في الملل والنحل والآراء والديانات فلم ينقلوا عن أحد إثبات شريك مشارك له في خلق جميع المخلوقات، ولا مماثل له في جميع الصفات، بل من أعظم ما نقلوا في ذلك قول التثوية الذي يقولون بالأصلين (النور والظلمة) وإن النور خلق الخير والظلمة خلقت الشر، ثم ذكروا لهم في الظلمة قولين: أحدهما أنها محدثة فتكون من جملة المخلوقات له، والثاني: أنها قديمة لكنها لم تفعل إلا الشر فكانت ناقصة في ذاتها وصفاتها ومفعولاتها عن النور.

وقد أخبر سبحانه عن المشركين من إقرارهم بأن الله خالق المخلوقات ما بينه في كتابه فقال: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضُرِّيَّهِ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ رَحْمَتَهُ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: 38] ومعلوم أن المشركين من العرب الذي بعث

9. الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، أبو بكر بن الطيب الباقلاني، عالم الكتب، ت : عماد أحمد حيدر، ط1.

10. إنقاذ البشر من الجبر والقدر للشریف المرتضى ، ضمن (رسائل العدل والتوحيد) ، دار الهلال ، جمع وتحقيق : محمد عمارة .

11. بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، مكتبة العلوم والحكم، ط: 1408، ت: د. موسى سليمان الدويش.

12. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، ت: مجموعة من المحققين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط: 1426هـ.

13. تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، دار الكتاب العربي .

14. التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ، مؤسسة الرسالة ، ط 1414هـ ، ت : عصام الحرستاني ورفيقه .

15. التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ط 1 ، 1405هـ ، ت : محمد بن عودة السعوي .

16. تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، ت: سامي بن محمد

3. عموم خلقه تعالى لكل شيء، الخير والشر، ومن الشر أفعال العباد ومعاصيهم، وأن ذلك لا يعني أن الله تعالى يصدر عنه الشر ويُنسب إليه بل إيجاده إيّاها منتهى الحكمة والخير من جهة الخلق.

المصادر

1. الإبانة الكبرى، عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَرِي المعروف بابن بَطَّة العكبري، ت: رضا معطي ورفقاه، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض ، ط : متعددة.

2. الإبانة عن أصول الديانة، علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري أبو الحسن، دار الأنصار - القاهرة الطبعة الأولى ، 1397ت: فوقية حسين محمود.

3. اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1404 - 1984

4. أساس البلاغة للزمخشري.

5. الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام د علي وافي ، دار نهضة مصر .

6. الأعلام ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، ط 8 .

7. الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي .

8. الانتصار لأبي الحسين الخياط، ضمن (رسائل العدل والتوحيد) ، دار الهلال ، جمع وتحقيق : محمد عمارة .

23. الذيل على طبقات الحنابلة، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، ت: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان - الرياض، ط1، 1425 هـ - 2005 م

24. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، ت: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى، 1415 هـ

25. زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، المكتب الإسلامي، ط4.

26. سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط: الرابعة 1405 هـ.

27. السنن، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، ط2، ترقيم عبدالفتاح أبو غدة.

28. السنن، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، دار الفكر، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد

29. السنن، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ت: أحمد محمد شاكر وآخرون

30. سير أعلام النبلاء للذهبي، مؤسسة الرسالة، ط8، تحقيق شعيب الأرنؤوط ورفقاه.

31. شذرات الذهب

سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420 هـ - 1999 م

17. تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط1، 2001 م.

18. التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنده العبدى، ت: الدكتور علي بن محمد ناصر الفقيهي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، دار العلوم والحكم، ط: الأولى، 1423 هـ - 2002 م.

19. جامع البيان في تأويل القرآن ل، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م

20. جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار العروبة - الكويت، ت: شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط، ط2، 1407 - 198

21. خلق أفعال العباد، محمد بن إبراهيم بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، ت: د. عبدالرحمن عميرة، دار المعارف السعودية - الرياض

22. دَرءُ تَعَارُضِ الْعَقْلِ وَالنَّفْلِ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، ت: محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية - الرياض، 1391 هـ

الرسالة - بيروت، ت: شعيب الأرناؤوط، ط: الثانية ،
1414 - 1993

40. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله
البخاري الجعفي، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر،
دار طوق النجاة، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط:
الأولى، 1422هـ

41. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين
القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي -
بيروت، ت: محمد فؤاد عبد الباقي.

42. الصّفيّة لشيخ الإسلام ابن تيمية ، دار الهدى
النبوي ، ط1 ، ت : محمد رشاد سالم .

43. طبقات الحنابلة ، أبو الحسين ابن أبي يعلى،
محمد بن محمد، ت: محمد حامد الفقي، الناشر: دار
المعرفة - بيروت

44. طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ، ط2 ، دار
هجر ، ت : عبدالفتاح الحلو ورفيقه .

45. العذب النмир من مجالس الشنقيطي في التفسير
، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر
الجنيني الشنقيطي ، ت: خالد بن عثمان السبت، دار
عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط: الثانية،
1426 هـ .

46. عقيدة أصحاب الحديث لأبي عثمان الصابوني،
ت: ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع، دار
العاصمة ، ط

47. العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم،
ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى

32. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبو
القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي
اللاكائي، ت: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار
طيبة - السعودية، ط: الثامنة، 1423هـ / 2003م
33. شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار بن
أحمد، عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة .

34. شرح السنّة للبغوي ، المكتب الإسلامي ، ط1 ،
ت : شعيب الأرناؤوط . المنهاج شرح صحيح مسلم بن
الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي،
دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: الثانية ،
1392 هـ .

35. شرح العقيدة الأصفهانية لشيخ الإسلام ابن تيمية
، مكتبة الرشد ، ط 1415 هـ .

36. شرح العقيدة الطحاوية ، صدر الدين محمد بن
علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، ت:
جماعة من العلماء، تخرّج: ناصر الدين الألباني،
دار السلام للطباعة ، ، 1426هـ - 2005م

37. شرح المقاصد للتفتازاني ، دار عالم الكتب ، ط1
، 1409هـ ، عبد الرحمن عميرة .

38. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة
والتعليل، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد
الله، دار الفكر - بيروت ، 1398 - 1978، ت:
محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي

39. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن
حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، مؤسسة

محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، مؤسسة الخافقين ومكتبتها - دمشق، ط2

56. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، طبعة وزارة الأوقاف السعودية .

57. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1422 هـ

58. مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتزلة لابن القيم، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلي شمس الدين، ابن الموصلي، ت: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة - مصر، الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2001م

59. المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى ، 1411 هـ - 1990م، ت : مصطفى عبد القادر عطا

60. المسند ، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مؤسسة قرطبة - القاهرة.

61. مشكلة الشرّ ووجود الله، <https://yaqeen.net>

62. المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها، عواد بن عبد الله المعتق، سنة النشر: 1416 - 1995م.

63. المعجم الفلسفي ، للدكتور جميل صليبا

بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، 1415 هـ - 1994

م

48. غاية المرام في علم الكلام، علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الأمدي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة ، 1391، ت : حسن محمود عبد اللطيف

49. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، بغاية : محب الدين الخطيب، دار المعرفة - بيروت ، 1379هـ.

50. الفرق بين الفرق للبغدادى ، دار الآفاق الجديدة ، ط5 ، 1402 هـ .

51. الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ، دار الجيل ، ط 1405 هـ ، محمد نصر ورفيقه .

52. قصة الحضارة .

53. الكامل في التاريخ ، ابن الأثير: عز الدين علي بن محمد بن محمد الشيباني، دار الكتاب العربي ، ط1 ، 1417 هـ ، ت : عمر عبد السلام تدمري .

54. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، ت: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، ط1 1419 هـ - 1998م

55. لوايح الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضوية في عقد الفرقة المرضية، أبو العون

64. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت: عبد السلام محمد هارون، اتحاد الكتاب العرب، الطبعة : 1423 هـ = 2002م.
65. المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي عبد الجبار ، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ت: محمد مصطفى حلمي ورفيقه.
66. مقاصد الفلاسفة للغزالي.
67. مقالات الإسلاميين، علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن، دار إحياء التراث العربي - بيروت .
68. الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، دار المعرفة - بيروت ، 1404هـ، ت: محمد سيد كيلاني.
69. من أفلاطون إلى ابن سينا مجموعة محاضرات للدكتور جميل صليبا
70. منهاج السنة لابن تيمية : مكتبة ابن تيمية ، ط2 ، ت : محمد رشاد سالم .
71. منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة
72. المواقف، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، دار الجيل - بيروت، الطبعة الأولى، 1997، ت: د. عبد الرحمن عميرة .
73. النجاة لابن سينا .

The approach of the ancestor in the faith As "the creation" through The Holy Quran

Dr. Ahmed bin Saleh Al-Zahrani

Associate Professor - Department of Islamic Studies

Faculty of Arts and Humanities

King Abdulaziz University in Jeddah

Abstract. the research deals with the attribute of the creation of God Almighty and the method of the righteous predecessors in proving and believing according to it, through the Qur'anic text, and it was presented in a chapter in which it was mentioned in the first topic: Explanation of the method of the righteous predecessor in the names of God Almighty and his high qualities, then mentioned in the following topic: Meaning of the word " Creation "in language and in the Qur'an, and in the second chapter, I mentioned the approach of the predecessors in the character of creation in three sections, so I mentioned in the first topic: that they prove what the name included in the character of creation, and in the second topic I mentioned their proof of the permanence of His Almighty's identification with creation eternally and ever, and I explained in the third: Their belief in the generality of God Almighty for everything, and concluded the research by mentioning an inclusive conclusion to it, and an index of sources, verses and topics.